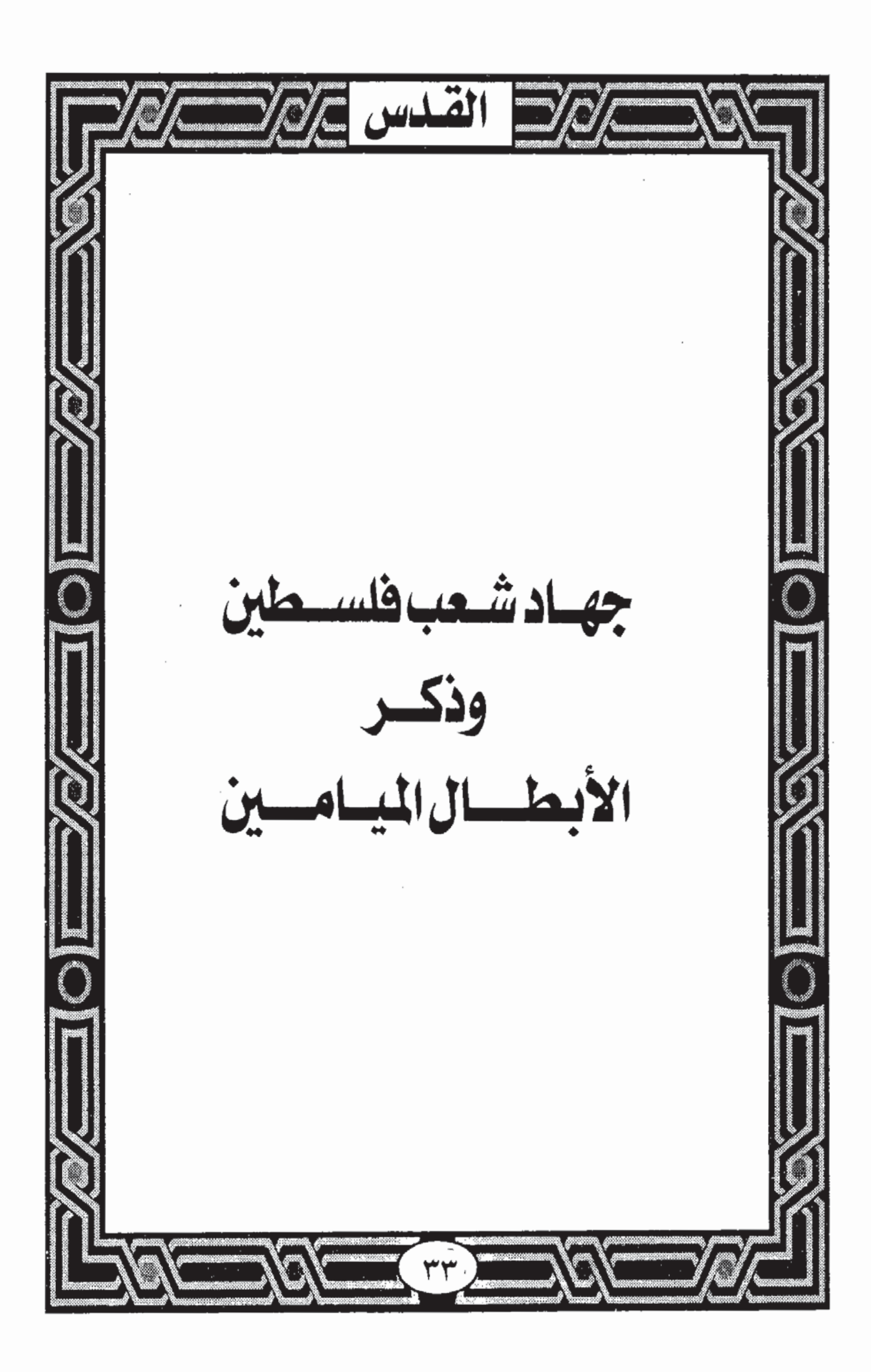


جهاد شعب فلسطين
وذكر
الأبطال الميامين

جهاد شعب فلسطين وذكر الأبطال الميامين

سالت على أرض فلسطين - أرض الإسراء وزهرة المدائن... ومدينة اللَّه التي ضمّت النور بالساعدينِ - دماء الأبرار والقانتين الذين فدوا القدس بالنفس والنفيس وكان حداؤهم «وا قدساه».

وقبِّلْ شهيداً على أرضها　　　دعا باسمها اللَّه واستشهدا

فلسطين تفديك منا الدماء　　　وجلّ الفدائي والمفتدى

وسيذكر التاريخ حين يكتب بأمانة وبأيد متوضئة صادقة أن شعب فلسطين المسلم لم يفرط ولم يهادن.. وأن الأبطال المسلمين جمعتهم هوية واحدة هي عقيدتهم، ولا عجب أن يسجل التاريخ ذكر أبطال لم يولدوا على أرض فلسطين، وإنما ارتبط اسمهم باسمها فالإسلام عقيدة... وما أمر أحمد باشا الجزار والي عكا وما أمر عز الدين القسّام منا ببعيد.

وسنذكر صفحات من نورٍ لجهاد فلسطين المباركة:

* أحمد الجزّار والي عكا ينحر الفرنسيين أمام أسوار عكا:

حاصر نابليون عكا في ١٨ مارس عام ١٧٩٩م وهو على يقين كامل بأن المدينة ستسقط في يده خلال أيام قليلة خاصة بعد انتصاره المدوّي على المماليك والأتراك في مصر...

وشاء اللَّه أن يكون على ولاية عكا قائد بوسني الأصل هو أحمد باشا المشهور بالجزار، ولم يكن وارداً في قاموس هذا القائد أي مرادفات لكلمات من قبيل الاستسلام أو حتى التفاوض.

وعندما قام بونابرت بإرسال خطاب للجزار ردّ عليه فوراً بإطلاق نيران مدفعيته على القوات الفرنسية المحاصرة لأسوار عكا.

وبعد سبعين يومًا من الحصار اضطر بونابرت إلى فك الحصار ومغادرة أسوار عكا، وهو يجر أذيال الفشل والخيبة في ٢٠ مايو عام ١٧٩٩م.

وفرض الجزار نفسه على الكتابات الأوربية وسُجِّل هذا البطل بأنه أنقذ الشرق من خطط نابليون.

جهاد فلسطين في العصر الحديث
وبطولات على أرض الإسراء

* ثورة «البراق» في ٢٣/٨/١٩٢٩م:

الحائط الذين يسمونه (المبكى) هو جزء من المسجد الأقصى، وهو ملك المسلمين الخاص، كما أن الرصيف الذي يقف اليهود عليه عند قيامهم بالزيارة، وقفٌ إسلامي، من أوقاف أبي مَدْين الغوث، أنشئ هو والأملاك المجاورة في زمن صلاح الدين لمنفعة المغاربة من المسلمين. ومؤيدة وقفيته بصكوك محفوظة لدى دائرة الأوقاف. وقد زادت جرأة اليهود على حائط البراق، مع دخول البريطانيين إلى القدس. وفي يوم الجمعة ٢٣/٨/١٩٢٩م قامت ثورة أهل فلسطين من أجل حماية البراق، وبعد هذه الحوادث جاءت لجنة دولية أوفدتها عصبة الأمم للحكم في الموضوع وحكمت بالتالي للمسلمين وحدهم تعودُ ملكية الحائط الغربي. ولهم وحدهم الحقّ العيني فيه، لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضًا تعود ملكية

الرصيف الكائن أمام الحائط، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير».

وهذا ولم تستطع القوات البريطانية المدججة بالسلاح أن توقف المدّ الثوري: من أجل المسجد الأقصى، فاضطر الحاكم البريطاني إلى طلب النجدة من القوات البريطانية في مصر، فجاءت على جناح السرعة، فكانت حصيلة هذه الثورة استشهاد ١١٦ شهيدًا وجرح ٢٣٢ مجاهدًا. ولم تكتف القوات البريطانية بذلك، فأصدرت على ٢٧ مجاهدًا حكمًا بالإعدام، وخفف الحكم على ٢٤ واحدًا منهم، ونُفّذ الحكم في ثلاثة هم: عطا أحمد الزير، ومحمد خليل جمجوم، وفؤاد حسن حجازي وأعلنت السلطات البريطانية بأنها ستعدم واحدًا من هؤلاء الثلاثة في كل ساعة من يوم الثلاثاء ١٧/٦/١٩٣٠م في القلعة في سجن عكا.

فكان إعدام فؤاد حجازي في الساعة الثامنة صباحًا.

ومحمد جمجوم في الساعة التاسعة صباحًا.

وعطا الزير في الساعة العاشرة صباحًا.

وقد سُمح لزائريهم بزيارتهم، وهم وقوف بألبستهم الحمراء - ألبسة الإعدام - ينتظرون ساعتهم الأخيرة، وإليك ما رواه الزائرون في الساعة الأخيرة لكل واحد منهم:

كانت ثغور الشهداء باسمة، ونفوسهم مطمئنة، وشجاعتهم فائقة الحد. وكانوا هم الذين يتولّون تعزية وتشجيع الزائرين بدل أن يعزيهم هؤلاء ويشجعونهم.

وكان الشهيد فؤاد حجازي وهو أصغرهم سنًّا يقول لزائريه: «إذا كان إعدامُنا نحن الثلاثة يُزعزع شيئًا من كابوس الإنجليز عن الأمة العربية

الكريمة؛ فليحل الإعدام في عشرات الألوف مثلنا، لكي يزول هذا الكابوس عنّا تمامًا». ولقد تنافس هو والشهيد الثاني وأبى إلا أن يسبق رفيقه.

وقال الشهيدان محمد جمجوم وعطا الزير: «نحمدُ اللَّه على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم».

وطلب الشهيدان عطا ومحمد حِنّاءً خضَّبا بها أيديهما حسب عوائد الخليل في أيام أفراحهم وأعراسهم. وعندما أريد إصعاد عطا الزير إلى المنصة طلب أن تفكَّ قيودُه؛ لأنه لا يخشى الموت، ولما رفض طلبه حطم السلاسل بقوة عضلاته وتقدم مبتسمًا من المشنقة بثبات وجرأة.

وكلما أعلنت الساعة موعد إعدام واحد منهم كان المؤذنون يؤبنونه على المآذن.

□ من كلمات الشيخ القسام من فوق منبر جامع الاستقلال:

«يا أهل حيفا، يا مسلمون، ألا تعرفون فؤاد حجازي؟

ألم يكن فؤاد حجازي، وعطا المصري، ومحمد الجمجوم، إخوانكم؟

ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال؟! إنهم الأن على أبواب المشانق، حكم عليهم الإنجليز بالإعدام من أجل اليهود.

أيها المؤمنون: أين نخوتكم؟ أين إيمانكم؟ أين هي مروءتكم؟»[1]

---

(١) «ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام» لعوني جدوع العبيدي ص(١٤٠، ١٤١) ـ دار النفائس الأردن.

وارتجت جنبات المسجد بالتكبير، وتذكر الناس قول البطل فؤاد حجازي في السجن:

يا ظلام السجن خيِّمْ إننا نهوى الظلاما
ليس بعد السجن إلا فجرُ بدرٍ يتسامى

* الحركة الجهادية عام ١٩٣٥م وإمامها وشيخها الشيخ عز الدين القسّام:

القسّام القسّام.. اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في أجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم، ويُتلى في صفحات تاريخها الخالدة، فيملأ نفس القارئ إكبارًا وإعجابًا.

❑ قال الأستاذ محمد محمد حسن شُرَّاب: «ثبت عندي للقسّام منقبتان جامعتان لكل خلال الخير وهما: أنه شيخ المجاهدين في فلسطين، ورائد من روّاد الدعوة إلى اللّه وإصلاح المجتمع على **نهج السلف الصالح**»(١).

❑ ولد الشيخ محمد عز الدين بن عبد القادر بن مصطفى القسّام الشهير «بعز الدين القسّام» في بلدة جَبَلَة وهي ثغر من ثغور المسلمين من أعمال حلب قرب اللاذقية عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م.

وكان جده مصطفى مقدمًا في الطريقة القادرية الصوفية وورث عبدالقادر الطريقة عن أبيه، وكان أنصار الطريقة القادرية في العراق

---

(١) «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد محمد حسن شُرَّاب ص(١٤) دار العلم دمشق.

يقدمون إلى جبلة لزيارة ضريحي عبد القادر ووالده مصطفى في جبلة، فكان عز الدين يردع هؤلاء، ويحثهم على الامتناع من شد الرحال إلى جبلة لهذا الغرض.

ورحل في طلب العلم في الأزهر عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م ونال شهادة الأزهر العالية بعد أن أمضى حوالي ثماني سنوات في جوار الأزهر.

□ وفتح مدرسة في جبلة سنة ١٩١٢م درّس فيها للأطفال واليافعين نهارًا، وللرجال الكبار مساء، وهذه فضيلة لم يسبقه إليها أحد من رجال الإصلاح في العصر الحديث.

□ ودرّس الحديث، وتفسير القرآن العظيم في جامع إبراهيم بن أدهم، ثم صار خطيبًا في جامع المنصوري في وسط البلدة، وجذب الناس إليه.

* وكان الإسلام يمتزج بدمه:

□ ولما غزا الإيطاليون ليبيا ثارت موجة عارمة من الغضب بين أهل الشام، وكان للقسّام دور بارز في قيادة حملات تجنيد الشباب للجهاد، وجنّد - رحمه اللَّه - مئات الشباب من الساحل السوري، وقادهم بنفسه، وتعهدهم بالتدريب العسكري والفكري، وقام أيضًا بحملة لجمع الأموال والمؤن الكافية للنفقة على المتطوعين وأسرهم، ولمساعدة المجاهدين في ليبية. واتصل عز الدين القسّام بالحكومة التركية، وحصل على موافقة الباب العالي في إستانبول بنقل المتطوعين إلى الإسكندرونة.

وكانت هناك صعوبات كثيرة أمام الرجال، ولكن القسام صمم على لقاء الأشقاء المجاهدين في ليبيا، وأن ينقل إليهم ما استطاع جمعه من

معونات مادية، وانتقل سرًّا إلى الأراضي الليبية، والتقى القسّام بالمجاهد الكبير عمر المختار.

ولم يشارك القسّام في الثورة العربية المسلحة، ولم يحمل سلاحًا ضد الأتراك المسلمين وذلك لفقهه الكبير، ولم يشق عصا الطاعة على ولاة الأمر من الأتراك ـ رحمه اللَّه ـ واعتزل ـ رحمه اللَّه ـ الحرب ورجع إلى بلده بعد سنة ١٩١٦م.

◻ ولما احتل الأسطول الفرنسي اللاذقية والساحل السوري في ١٠/١٠/١٩١٨م كان القسّام أول مَنْ رفع راية مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، وأول من حمل السلاح في وجهها. وكان من نتاج دعوته أن اندلعت نيران الثورة في منطقة صهيون.

وباع القسّام بيته لشراء السلاح ليكون قدوة للناس، وجعل يدرب المتطوعين على استعمال السلاح وفنون القتال عند شاطئ خليج بحري يُدعى «البحيص» جنوب جبلة.

ولما رأى عيون الفرنسيين يضيّقون عليه، ورأى أن منازلتهم في سهول جبلة المكشوفة تتيح لجيشهم قمع ثورته، فتطلع إلى موقع أكثر حصانة، وأبقى على الجهاد فاختار جبال صهيون ميدانًا للجهاد، وفيمم شطرها مع رجاله، واتخذ قاعدة عسكرية في قمة منيعة قرب قرية «الزنقوفة» يغيرون على المراكز العسكرية الفرنسية في الجبال وفي مشارف المدن الساحلية.

وحاول الفرنسيون استمالته بأن أرسلوا إليه رسولاً بالكفّ عن مقاومتهم في مقابل تعيينه قاضيًا شرعيًّا في المنطقة، ورفض البطل دعوتهم، وقال لرسولهم: عُد من حيث أتيت، وقل لهؤلاء الغاصبين

«إنني لن أقعد عن القتال أو ألقى اللَّه شهيدًا».

فلما عجز الفرنسيون عن استمالته وثنيه عن الجهاد حكم عليه الديوان العُرفي فيما كان يُسمّى بدولة العلويين بالموت غيابيًّا.

ولم يذهب القسام وحيدًا إلى ميدان الجهاد، وإنما ذهب على رأسه أتباعه وتلامذته، وكان معه في جبال صهيون عمر البيطار ورجاله.

ومن أشهر معارك القسام وجماعته «معركة بانيا» حين تمكن القسّام مع ثلة من المجاهدين من القيام بغارة ليلاً على الثكنة الفرنسية، وقتل حاميتها في آذار ١٩٢٠م.

ولم يجد القسام المدد الذي طلبوه من القيادة السياسية في دمشق انتقل - رحمه اللَّه - من جبلة، انتقل منها وكان له شرف المشاركة في ملحمة ميسلون في ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠م التي قُتل فيها البطل يوسف العظمة وعدد كبير من رفاقة.

وبعد معركة ميسلون عاد القسام إلى بيروت ومنها إلى دمشق للدفاع عنها، ومنها إلى صيدا، ومنها إلى عكا متخفيًا، وهاجر القسّام إلى فلسطين ليتابع الجهاد، واستقر في حيفا يدرس ويفتي ويربي.

«وفي سنة ١٩٣٤م قال له عامل من عمال الميناء، عندما استمع إلى درس الجهاد: «هل سمع «سيدنا» بحكاية البراميل التي اكتُشِفت مصادفة، وهي مملوءة بالأسلحة الفتّاكة التي يهرّبها اليهود ليومهم الموعود»؟ فانتفض الشيخ وابتسم. وفي العشرين من تشرين الثاني ١٩٣٥م نشرت الصحف خبرًا هزّ العالم العربي يقول: إن الشيخ القسّام يلبس الكوفية والعقال و«البنطال» الكاكي والسلاح هو ورجاله، ويتدربون في غابات «يَعْبُد» بقضاء جنين استعدادًا للجهاد. فكانت هذه الثمرة

الحيفاوية باكورة الجهاد الفلسطيني، وهي الفكرة التي أصلحت مسار العمل العسكري، بل أوجدته»[١] .

وكانت الأحزاب السياسية مناهجها تقوم على المظاهرات، وإجراء اتصالات مع المندوب السامي، وإلقاء الخطب، وإرسال الوفود، وليس ثمة تفكير في الدعوة إلى الجهاد كما قال إبراهيم طوقان ساخراً من الزعماء السياسيين:

أنتمُ المخلصون للوطنيّه ... أنتمُ الحاملون عبء القضيه

أنتم العاملون من غير قولٍ ... بارك اللّه في الزنور القويّه

«وبيان» منكم يعادل جشا ... بمعدات زحفه الحربيّه

«واجتماع» منكم يردُّ علينا ... غابر المجد من فتوح أمية

وخلاص البلاد صار على الـ ... ـباب وجاءَتْ أعياده الورديّة

ما جحدنا «أفضالكم» غير أنّا ... لم تزل في نفوسنا أمنيّة

في يدينا بقية من بلاد ... فاستريحوا كيلا تطير البقيّه[٢]

❑ وقال ـ رحمه اللّه ـ:

أنتم رجالُ خطابات مُنَمّقة ... كما علمنا وأبطال احتجاجات

وقد شبعتم ظهوراً في مظاهرةٍ ... مشروعة وسكرتم بالهتافات

أضحت فلسطينُ مِن غيظٍ تقول لكم ... خلّوا الطريق فلستم من رجالاتي

وكان القسام ـ رحمه اللّه ـ يحاضر المسلمين ويعظهم في مسجد الجرينة الكبير وجامع الاستقلال ويبصّرهم بواقع الأمة ويربيهم على الجهاد.

---

(١) «عز الدين القسّام» لمحمد محمد حسن شرّاب ص(١٢٧).

(٢) المصدر السابق ص(١٣٣).

ولما «سئل ـ رحمه الله ـ عن رأيه في أساليب الزعماء المعتمدة على محاورة الإنكليز، فأجاب: «من جرّب المجرَّب فعقله مخرَّب»، وقال مرة: «من جرّب المجرَّب فهو خائن»، وهو يشير إلى تجربة العرب مع الإنكليز إبّان الثورة العربية على العثمانيين»[1].

□ وأعلن القسّام أن الإنكليز رأس البلاء والداء، ويجب توجيه الإمكانات كلها لحربهم، وطردهم من فلسطين قبل أن يتمكنوا من تحقيق وعدهم لليهود.

ودعا القسّام المسلمين إلى التمرّد، وحرّضهم على ألا يسمعوا للعساكر البريطانية.

«ففي أواخر سنة ١٩٣٤م، سأل القسّام المصلين من على المنبر: «هل أنتم مؤمنون؟»، وأجاب: «لا أعتقد»، وسكت قليلاً، ثم تابع كلامه قائلاً: «لأنه لو كنتم مؤمنين، لكانت لكم عزّة المؤمن، فإذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني، فلا تطيعوا نداءه.

واتّجه القسّام إلى توعية الشعب بالشرور المحدقة بهم، وكان يكثر من قوله: «بأن اليهود ينتظرون الفرصة لإفناء شعب فلسطين، والسيطرة على البلاد، وتأسيس دولتهم».

□ ومن باب التحريض على الجهاد دعا القسّام إلى توجيه اقتصاد البلد إلى شراء الأسلحة، وأنكر في هذا السبيل سياسة «المجلس الإسلامي الأعلى» في تزيين المساجد وبناء الفنادق، وقال: يجب أن تتحول الجواهر والزينة في المساجد إلى أسلحة، فإذا خسرتم أرضكم فإن

---

(١) «عز الدين القسّام» لشراب ص(١٤٧).

الزينة لن تنفعكم وهي على الجدران.

وحذر الشيخ عز الدين المصلين في إحدى خطب الجمعة سنة ١٩٢٧م من التساهل مع الهجرة اليهودية التي تحتل البلاد، ودعاهم إلى استقبال هذا العدو القادم بعربات الانتداب الإنكليزي وحمايته، بوصفهم أعداء لا بوصفهم ضيوفًا».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ في مسجد الاستقلال يردد دائمًا الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]. ويُسهب في شرح ﴿ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ فأولوا الأمر هم المسلمون أما الإنكليز فلا طاعة لهم على المسلمين، وكان الإنكليز يبثون على لسان «القاديانية» ومركزها «حيفا» أن الدولة البريطانية وليّة أمر المسلمين ولها عليهم حق الطاعة.

◻ وفي سنة ١٩٢٩م عُلِمَ أن اليهود يأتمرون للهجوم على جامع الاستقلال، فطلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية أن ترسل قوة لحراسة المسجد من الهجوم المُدبّر، فثار القسّام على هذا الاقتراح، وقال في خطاب ألقاه بهذه المناسبة: «إن جوامعنا يحميها المؤمنون منّا، إن دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين» ووصف الطلب بالجبن، وعدّه دليلاً على الخضوع والذل. ولما دعته السلطات للتحقيق في كلامه، لم ينكره، وعندما أُوقف، أعلنت المدينة الإضراب، فاضطرت السلطات إلى إخراجه من السجن، وتجنّبت حكومة الانتداب اعتقاله فيما بعد[1].

(١) «عز الدين القسّام» لشراب ص(١٤٨).

❑ وفي الثلاثينيات حين شاعت حوادث قطع الطرق، وظهور عصابات السّلب، برز اسمُ «أبو جلْدة»[١] وأحيط بهالة من التقدير، بوصفه معبراً عن الحس الشعبي، ورغبته في مقاومة الانتداب، وفي سنة ١٩٣٢م سُئِل الشيخ عن رأيه في أهل «الشعراوية» وجبل نابلس الذين يقطعون أشجار اليهود، ويَسُمُّون الحيوانات، وينعتهم الناس باللصوصية وقطّاع الطرق، فأجاب: «دعهم يعملون؛ لأن في عملهم رجولة سنحولّها في يوم من الأيام إلى جهاد، وما دام المستعمر يرغب في إماتة قلوبنا، فإن هؤلاء أقرب إلى اللَّه وإلى حب الجهاد من المستكينين»[٢] .

❑ واستطاع القسّام في عشر سنوات أمضاها في جامع الاستقلال، أن يجعل الناس مستعدين لتلبية نداء الجهاد، وصارت الكلمات الجهادية المقدسة من خطبه، على لسان الجمهور، من ذلك قوله: «المجاهد رائد قومه، والرائد لا يكذب أهله»، وقوله: «الجهاد رفيقه الحرمان» أي الصبر على المشقة، وكان شعار القسّام وتلاميذه «هذا جهاد، نصر أو استشهاد».

❑ ومن خلال اتصال القسّام بالقوى البشرية عن طريق المسجد، استطاع أن يُقوّم القدرات الوطنية للجهاد، ووازن بينها وبين قدرات الأعداء، فوجد القوة الوطنية تفوق قوى الأعداء، فثبت في نفسه أن

---

(١) أبو جلدة: صعلوك فاتك، ولكنه كان يسلب الإنكليز واليهود فقط. ذكره المؤرخ الروسي في كتابه «تاريخ الأقطار العربية المعاصر» فقال: في سنة ١٩٣٢م. برز زعيم فصائل الفدائيين البطل الشعبي «أبو جلدة» الذي كان يزرع الرعب في قلوب المستعمرين ببسالته وجرأته.

(٢) «عز الدين القسّام» ص(١٥٠ ـ ١٥٣).

الأسلوب العسكري للوصول إلى الحق هو الأسلوب الناجح، وأن الطر
السلمية التفاوضية فيها إذلال للمسلمين، لأنها تجبر الأسد القوي «وهم العرب» أن يفاوض الكلب (وهم الأعداء). ونقل الرواة عن ابنة القسّام ميمنة هذه الحادثة: «إذ رأته صباح يوم هائجًا هياجًا شديدًا، يردّد أشعارًا حماسية حربية، فخشيت من مغبّة هذا الهياج، وقالت له: إن الطريق السلميّة هي خير طريق يمكن أن يسلكه شعب أعزل كشعبنا؛ لأن القوة يجب أن تجابهها قوة مثلها، ونحن لا قوة لدينا ولا مال، قالت ميمنة: ولكن الوالد الشهيد لم يتركني أتمّ كلامي، بل صاح بصوته الجَهْوري: اصمتي يا ميمنة. ثم أطرق برهة، وأنشد وهو ينظر إليّ:

واعلم بأن عليك العار تلبَسُه مَن عَضَّه الكلب لا من عضّه الأسدُ

ولم يكن القسّام مبالغًا في تقديره وتقويمه لقلة الأعداء، فقد قدّر عدد اليهود في فلسطين سنة ١٩٢٢م (٨٣٠٠٠) ثلاثة وثمانون ألفًا، وبلغت نسبتهم لمجموع السكان (١١٪)، وفي سنة ١٩٣١م قدّر عدد اليهود (١٧٤٠٠٠) مئة وأربعة وسبعون ألفًا، وبلغت نسبتهم ١٦٪.

❑ وفي سنة ١٩٣٦م عجزت القوات البريطانية عن السيطرة على فلسطين، وحرّر المجاهدون أجزاء كبيرة من فلسطين، لولا وساطة (أصنام العرب) في فلسطين وخارجها التي نصبها الأعداء لتقرّب العرب إلى الإنكليز زُلْفى، وكانت هذه الأصنام، بل شياطينها، تعِد الناس بالمواعيد العرقوبية، وتوحي إلى المسلمين بأن قوة الأعداء العسكرية تفوق قوة العرب عددًا وعُدّة، وأنه لا سبيل إلى الخلاص منهم إلا بالحُسنى، فيطفئون حركة الجهاد، وبينها وبين النصر قاب قوسين أو أدنى، أطفا اللَّه نور قبورهم.

وقد ركّز القسّام عنايته في التوجيه إلى معاني الجهاد، وتصحيح المفهومات السياسية الدارجة، ولكنه لم ينس ثلاث قضايا:

الأولى: الدعوة إلى إخلاص العقيدة للَّه وحده، وتنقية المفهومات الدينية الشائعة من الشوائب، والرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، مصدرين لكل توجهات المسلمين.

وفي هذا السبيل حارب البدع المتصلة بالجنائز والمآتم، والمولد النبوي، وشهر رمضان... إلخ.

وخاض من أجلها معركة شاركه فيها محمد كامل قصّاب، وألّفا فيها كتاب «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران».

الثانية: الغزو الفكري المدعوم من اليهود والإنكليز، وكانت حيفا مركزًا لفرقتين ضالتين هما: البهائية والقاديانية.

الثالثة: اكتشاف القادرين على الجهاد وتنظيمهم في خلايا سرية، ولما تأسست جمعية الشبان المسلمين في فلسطين كان القسّام رئيسًا لجمعية حيفا، وقد واظب القسّام على تقديم محاضرة دينية أسبوعية في جميعة الشبان المسلمين مساء كل جمعة، فكان يذهب كل أسبوع، مع فئة من أعضاء الجمعية للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلى القرى، وأسس - رحمه اللَّه - فروعًا لجمعيات الشبان المسلمين في اللواء الشمالي، أصبحت غطاءً مناسبًا لعمل رفاق القسّام في قراهم المحلية.

❑ قال أحمد القشيري: «كنت على معرفة وطيدة بالشيخ عز الدين القسّام، عرفته تقيًّا ورعًا، خطيبًا دينيًّا صالحًا، واجتمعت به في

مؤتمرات جمعيات الشبـان المسلمين في حيفا وغيرها، ولم يكن يدور في خلدي أو خلد غيري، حتى من أصدقائه المقربين، أن هذا الشيخ المعمم، إمام الجامع كان يهـيئ نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضـد السلطات البريطانية مباشرة»[١] .

▫ كان القسّام ـ رحمه اللَّه ـ جريئًا في قول الحق، لا يخاف في اللَّه لومة لائم.

«كان يقرر من على المنبر أن الجـهاد فريضة على المسلمين، وأنه لا مفرّ من مـحاربة الإنكليز وأعوانهم، وكان يطلب من الناس جـهرًا شراء السلاح والتدرب عليه.

واستـدعته سلطات الانتـداب مرة للتحـقيق حول تركـيزه على آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفـال: ٦٠] في إحدى خطبه، فأجاب القسّـام، بأن الآية الكريمة جزء لا يتجـزأ من القرآن، وأنّ واجبـه يحتّم عليه شرح هذه الآية في ظل الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد.

وطلب مـرة من المصلين أن يقـاوموا الأعـداء فوقف أحـد المصلين وسأله: بماذا نقاوم الأعداء ونحن لا نملك سلاحًا؟

فأجاب الشيخ: بقتلهم وأخذ السلاح منهم.

وروى الشيخ أحمد السعدي ـ رئيس بلدية جنين ـ أن القسّام، رفع يومًا مسدسًا أمام المصلين، وكان قد دبّر طريقة لإخفائه، وقال: من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر، فليقتن مثل هذا»[٢] .

---

(١) «أربعون عامًا في الحياة العربية» لأحمد الشقيري ص(١٣٩).
(٢) «عز الدين القسام» لشراب ص(١٩٨).

* عز الدين القسام شيخ المجاهدين بفلسطين سلفي العقيدة والمنهج:

قال الشيخ محمد محمد حسن شُرّاب: «أخذ عز الدين ثقافته الإسلامية من القرآن والسنة الصحيحة، ونهل من السيرة النبوية المشتملة على بيان شمائل الرسول ﷺ التي يكون للمسلمين بها أسوة حسنة. ودرس سير الصحابة، فصدر بعد كل هذا عن عقيدة سلفية لم تتأثر بمذهب قديم أو اتجاه حديث»[١].

«كان همه الأول تخليص الدين من الشوائب، وإخلاص العقيدة للَّه وحده، حارب القسام ذهاب الناس إلى «مقام الخضر»[٢] على سفوح جبل الكرمل لذبح الأضاحي شكراً على شفاء من مرض، أو نجاح في مدرسة. ودعا القسّام الناس إلى أن يتوجهوا بنذورهم وأضاحيهم إلى اللَّه تعالى فقط؛ لأنه ـ وحده ـ القادر على النفع والضر، وأما أصحاب القبور فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا.

وبالجملة فإن العقيدة السلفية الصحيحة، والثقافة الإسلامية المقتبسة من القرآن والسنة أثرت في تلاميذ القسّام»[٣]، وانطبعوا بطابع التربية الإسلامية الإيمانية، سلوكًا وأقوالاً. وقد وصف أحمد الشقيري أصحاب القسّام، وقد عايش عددًا منهم، ودافع عنهم ـ بوصفه محاميًّا ـ أمام الإنكليز، فقال: «لم تجر على ألسنتهم تعابير «الكفاح المسلح» و«الحركة الوطنية» و«الاستعمار والصهيونية»، فقد كانت تعابيرهم على بساطتها تنبع من ينبوع أروع وأرفع هو «الإيمان والجهاد في سبيل اللَّه» لقد كانوا

---

(١) «عز الدين القسام» ص(١٧٠).
(٢) يقع عند أقصى حد حيفا إلى الغرب من سفح جبل الكرمل.
(٣) «عز الدين القسام» ص(١٥٥).

قـومًا مـؤمنين، صنعهم الإيمان، فـصـفت نفوسـهم، وتآلفت إرادتهم، وتعاظمت عزائمهم، وأحسّوا أن حبلهم مع اللَّه قد أصبح موصولاً، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحًا»[1] .

«ومنذ تولّى عز الدين القسام أمر تعليم الناس في المدارس والمساجد أخذ عـلى نفسـه تقويم مـا اعوج من أمـر المسلمين، وأن يرجعـهم إلى الإسلام المصفى الخالي، ورأى أن يبدأ بمرحلة الدعوة والتعليم لتربية جيل مؤمن بربه متمسك بسنة النبي ﷺ ، فأخذ يحارب البدع والخرافات. . ويدعو الناس إلى نبذ البدعة، ومن هنا بدأ الصراع بين أنصار البدع وبين المذهب السلفي الذي اتبعه القسام»[2] .

والذي يفهم من سيرة القسّام أنه كان مربّيًا سلفيًّا داعيًا يعمل لكي «يعود للدين مجـده بسيطرة السنة، ومحق البدعة، وعـودة مجد الدين، هو عودة لمجد أهله المتمسكين به».

«إن من يقرأ كتاب «النقد والبيان» للقسّام يعلم تمام العلم أنه ما حاد عن السلفية منهجًا وعقيدة قدر أنملة.

لم يكن القسّام ـ رحمه اللَّه ـ حاطب ليل بل كان يميز بين الصحيح والضعـيف من الأحاديث النـبوية، وكان يدعـو إلى العلم الصافـي قبل القول والعمل، وكان يأمل في الإعداء المرحلي، والتّدرج في الإعداد فما أمهله أعداؤه حتى يصل إلى ما يريد.

القـسام البطل المـتواضع الذي حـرص على الاتصـال بكل فئـات

---

(١) «أربعون عامًا» لأحمد الشقيري ص(١٤٥).

(٢) «عز الدين القسام» لشراب ص(١٧٦).

شعبه، وكان يمتلك قلوب الناس بشخصيته الجذابة المحبوبة» هذا البطل الذي جعل من باعة الكاز «الجاز» قادة ومجاهدين عظماء.

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يمين اللَّه إن شباب العصر الأخير ابتعدوا كثيرًا عن النهج القويم، وأمعنوا في الضلال، فلم يبق على هذه الأمة إلا أن تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وإيمان، وبعد عن بهارج مدنيَّتكم الزائفة»(١) .

□ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «خبرتي الطويلة تجعلني أرجو خيرًا من الفلاحين والعمال، فهم واثقون باللَّه، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأجرأهم على الإقدام»(٢) .

يرحم اللَّه البطل الذي بسّط العقيدة للعوامّ وشوّقهم إلى البذل والعطاء والجهاد.

□ إن الإنسان ليعجب حين يكتب الناس زورًا وبهتانًا عن القسّام فينسبونه إلى الصوفية فيجعلونه شيخ الزاوية الشاذلية، كما ترجم له صاحب «الأعلام الشرقية»(٣) ، وهذا كذبٌ صراح.

□ إن أبطال ثورة البراق كانوا من تلاميذ القسّام، وإن لم يتوفّر دليل على أنهم كانوا أعضاء في التنظيم السري.

ومن الذين شاركوا في ثورة البراق من إخوان القسّام: عبد اللَّه الأصبح، الذي كان له جهاد مشهود في منطقة «صفد»، والشيخ فرحان

---

(١) «عز الدين القسام» ص(٢٠٣).

(٢) «عز الدين القسام» ص(٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٣) «البطولة والفداء عند الصوفية» أسعد الخطيب ـ دار الفكر سورية من ص(٢٢٥ ـ ٢٢٨).

السعدي في قضاء جنين.

وفي المدة من ١٩٣١ ـ ١٩٣٥م، تأكد أن أعضاء من جماعة القسّام المُنظمين قاموا بأعمال عسكرية في قضاء حيفا.

وكانت أولى العمليات، الهجوم على مستعمرة (الياجور) قرب حيفا ليلة ٥/ ٤/ ١٩٣١م فقتلوا ثلاثة من اليهود، وعادوا دون أن يتركوا أثرًا، كما هجم القسّاميون على مستعمرة (بلغوريا) ومستعمرة (كفار هاسيديم) ومستعمرة (عتليت) ومستعمرة (العفولة) في المرج.

* عملية «نهلال» ضربة موجعة في أكبر رموز الصهيونية:

□ العملية العسكرية التي أغضبت الإنكليز واليهود، وأدخلت الرعب إلى قلوبهم هي عملية (نهلال) ليلة ٢٢/ ١٢/ ١٩٣٢م. فقد قام المجاهد أحمد الغلاييني ـ الذي يعمل سمكريًا ـ بصنع ألغام في معمله في حيفا، وأعطى لغمًا منها لمصطفى علي الأحمد، فوضع اللغم في منزل حرس مستوطنة (نهلال) وسيّر إخوان القسّام قطيعًا من الغنم على الطريق، فذهب الأثر. فانفجر اللغم، وأدى إلى قتل يهوديين، وإصابة اثنين بجراح. فكانت هذه الواقعة ضربة مؤثرة موجعة في أكبر رموز الصهيونية في فلسطين، وهي مستعمرة (نهلال) حيث يقول «وايزمن» في وصفها: «إن (نهلال) مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري؛ لأنني منها أبتدئ سياحتي، وبها أختمها، وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر، ولست أُبالغ إذا وصفتها بأنها قلب المرج، وعندما تقترب مني الأيام الصعبة أتطلّع إلى (نهلال) لأستمد منها التعزية.

وحكم بالإعدام على مصطفى الأحمد وبالسجن خمسة عشر عامًا

على أحمد الغلاييني، ودامت الأعمال العسكرية سنوات، كانت من أشدّ ما قام به المجاهدون في فلسطين تأثيرًا فألقت الرعب في قلوب اليهود؛ لأنهم رأوا عملاً جديدًا يُنفّذ بالسلاح، لم يعرفه اليهود من قبل، ومع كثرة هذه الأعمال، وتعدد أشكالها، فإنها ظلت محاطة بالسرّية والكتمان. وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة فمنذ أوائل ١٩٣٥م شهد المثلث العربي جنين نابلس طولكرم سيلاً من الاغتيالات للضباط الإنجليز ونسف القطارات، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني، وقتل أي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالاً مريبًا.

وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام، وفي فترات متعاقبة في غاية الدقة والتنظيم والسرية، وسرت روح الجهاد بين الشعب فتتابع تنظيم التشكيلات السرية، وزادت متاعب البريطانيين وإرهابهم.

* الاستعداد للجهاد:

أرسل القسام أحد إخوانه (محمود سالم المخزومي)[1] الملقب (أبو أحمد القسام) إلى سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى (الحاج أمين الحسيني) ليعلمه عن عزمه القيام بثورة في فلسطين للقضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي، وذلك سنة ١٩٣٥م قبل ثورة القسام بأشهر قليلة، وفعلاً، اتصل رسول القسام بالحاج أمين بواسطة الشيخ (موسى العزراوي) ـ رحمه الله ـ أحد أعوان الحاج أمين، وأعلمه عن رغبة

(١) «ثورة الشيخ عز الدين القسام» لعوني العبيدي ص(٥٥). وقال الأستاذ عوني العبيدي: ذكر لي ابن الشيخ أبو إبراهيم الكبير «أبو نبيل»: أن الذي كان يرسله القسام إلى الحاج أمين الحسيني هو الشيخ «كامل القصاب»، وليس محمد سالم المخزومي كما ذكر.

القسام: وهي أن يشرع الحاج أمين في الإعداء للثورة في جنوب فلسطين، حيث يعد القسام العدة في شمال فلسطين.

فأجاب الحاج أمين بواسطة (العزراوي) أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل، وأن الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم، إذ كان حَسَنَ الظن بالإنكليز[١].

وباع القسام بيته الوحيد في حيفا، وباع أصحابه حليَّ زوجاتهم، وبعض أثاثهم، واشتروا بثمنها رصاصًا وبنادق[٢].

* القسام يعلن الجهاد المقدس:

وبعد أسبوعين من مهاجمة قوات البوليس الإنكليزي للمتظاهرين العرب في القدس، وفي ليلة ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥م جمع الشيخ عز الدين القسام إخوانه في مدينة حيفا، وأبلغهم أنه قرر إعلان الجهاد المقدس، وأبلغهم أنهم سيغادرون تلك الليلة إلى أرض المعركة، وقال لهم إن شعار جهاده (أن يذهب كل مجاهد إلى أهله يستودعهم اللَّه، ويواعدهم اللقاء في الجنة)، ثم يلتئم جمعهم في بيت القائد محمود سالم المخزومي، ليتوجهوا من هناك إلى أرض المعركة، وخرجوا وخرج القسام الذي جاوز الستين من عمره بعد أن ودع زوجته وأولاده الصغار.

وقد اختار أرض معركته في المناطق الجبلية، وكان أقربها إلى حيفا جبال جنين، فتوجه موكب المجاهدين في تلك الليلة إلى قرية (كفردان)،

---

(١) «الثورة العربية الكبرى في فلسطين» ص(٢١ ـ ٢٢) ـ وسيأتي التعليق على بيع القسّام لبيته إذ إنه لم يكن يمتلك بيتًا إنما كان يستأجر فقط.

(٢) «الإسلام وحركات التحرر العربية» لشوقي أبو خُليل ص(٢٠٤).

وهناك وزع رفاقه على قرى: يعبد، وفقوعة، وصندلة، وقباطية، للاتصال بأهاليها. وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة.

وكان الشعب في السابق يعرف القسام من على منبر جامع الاستقلال في حيفا، ويعرف القسام من خلال زياراته إلى حفلات الأفراح في القرى. ويعرف إخلاص القسّام، لذلك فقد استجاب له ولرسله أعداد كبيرة من الرجال المخلصين. وكان الاستعمار في هذه الفترة يرقب تحركات القسّام بواسطة البوليس السري «الخونة».

ويُؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذوه قدوة لهم، وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة، والانتقال إلى الحياة الأخرى، للتمتع بما أعده اللّه للمجاهدين والشهداء من نعم.

وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يرابط بجماعة على مقربة منهم ـ أنهم لم يسألوهم أو يطلبوا منهم شيئًا في يوم من الأيام، بل كانوا في النهار يأوون إلى الكهف، يصلون ويقرؤن القرآن، وفي الليل يخرجون للتدرب على القتال.

وبعد يومين أي يوم ١٤ تشرين الثاني ارتكب أحد مناضلي القسام خطأً، كان سببًا في افتضاح أمر الثورة قبل إعلانها رسميًّا، وكانت خطة القسّام أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية، حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المناضلين، حتى إذا اكتمل العدد الذي يريد هاجم مدينة حيفا، واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام الحكومة العربية، ويكون أعوانه في المدن الأخرى قد قاموا بذات عملية الاحتلال، فينتهي بذلك مأساة تهويد فلسطين التي لم تَحُل

دونها حتى الآن جميع المفاوضات والاحتجاجات والمظاهرات.

ولكن الخطأ الذي ارتكبه أحد أعوانه عرض الخطة إلى الفشل، ففي ليلة ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٥م كان المناضل محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قرب قرية فقوعة، فشاهد دورية بوليس من الفرسان يقودها شاويش يهودي، وهي قادمة من مستعمرة عين حارود، فدب الحماس في المناضل الحارس عندما وجد أنه يسيطر على موقع يستطيع منه التحكم في الدورية، فأطلق النار على الشاويش اليهودي فقتله، إلا أن زميله استطاع الهرب، فأبلغ مركز البوليس بالواقعة، وفي اليوم التالي قامت قوات كبيرة بتطويق جميع القرى المجاورة، ولما اقتربت من مواقع أعوان القسّام اشتبكت معهم في قرية (البارد)، ونشبت المعركة التي استشهد خلالها المناضل الشيخ محمود الحلحولي، وقتل اثنان من البوليس الإنكليزي، وتطورت الأمور، فأيقنت حكومة الانتداب أن الثورة المسلحة قد أشرفت على القيام، وأن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار، عندئذ عقد اجتماع في مكتب المندوب السامي تقرر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة، وهي في مهدها مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها.

وأرسلت نجدات من رجال البوليس الإنكليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا، تساندهم طائرات استكشافية، وفي صباح يوم ١٩ تشرين الثاني زحفت قوات البوليس إلى جبال جنين، وطوقت منذ طلوع الفجر قرى: يعبد، واليامون، وبرقين، وكفر دان، وفقوعة، وكان الشيخ القسّام مع أحد عشر مناضلاً في أحراش قرية (يعبد) في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية من يعبد.

أما إخوانه فهم: الشيخ محمد الحنفي أحمد، والشيخ يوسف الزيباوي، والشيخ حسن الباير، والشيخ أحمد جابر، والشيخ أسعد كلش، والشيخ نمر السعدي، وعرابي البدوي، وتوفيق الزيري، وناجي أبو زيد، ومحمد يوسف، وداود خطاب.

* **معركة يعبد:**

وعرفت القوات الإنكليزية أنَّ الشيخ القسّام هو قائد الثورة، وأنه يقيم في أحراش يعبد، فأرسلت إليه خمسمئة جندي فرضت عليه طوقًا بحيث لا يمكنه الانسحاب، كما لا يمكن للنجدات أن تصل إليه.

«وحين طلب منه أن يستسلم أجاب إننا لن نستسلم إن هذا جهاد في سبيل اللَّه، والتفت إلى زملائه قائلاً: موتوا شهداء».

ودارت معركة بين قوتين غير متكافئتين بالعدد والعدة، وكان كل مجاهد يقاتل أربعين جنديًّا، ونشبت المعركة في الفجر، واستمرت حتى الظهر، فانتهت باستشهاد قائد الثورة الشيخ عز الدين القسام، والشيخ محمد الحنفي أحمد، رفيق جهاده في سوريا، والشيخ يوسف الزيباوي، كما جرح جميع إخوانه.

ووقع في الأسر الجرحي من المناضلين وهم: أحمد جابر، وعرابي البدوي، ومحمد يوسف، وتمكن الآخرون من الإفلات من طوق الجنود، وقد قتل من الإنكليز عدد كبير، إلا أن البلاغ الرسمي لم يعترف إلا بمقتل ثلاثة جنود.

ثم أصدرت السلطات البريطانية بلاغًا نعتت فيه القسام وصحبه بالأشقياء. وجرت بعد ذلك محاكمات تاريخية للأسرى من الجرحى وغير الجرحى.

وبذلك تمكن الإنكليز من القضاء على قائد الثورة وعدد من إخوانه الأبرار، وفشلت الخطة المقررة لاحتلال دوائر الحكومة في حيفا، والاستيلاء على الأسلحة التي ستسلم إلى المجاهدين للقيام بأعمال ثورية واسعة، لمنع إقامة دولة يهودية في أي جزء من أرض فلسطين.

وبعد سقوط العالم القائد المجاهد الشيخ عز الدين القسام واثنين من إخوانه الأبرار في ساحات الشرف والكرامة، واعتقال خمسة منهم، اضطر الآخرون إلى الاختفاء في الجبال لإتمام رسالة القسّام الثورية المقدسة في الوقت المناسب.

ولقد أكرم سكان مدينة حيفا البواسل الشهداء الأبرار، وتحدوا السلطات الغاشمة، وجرت جنازة مهيبة، اشترك فيها عشرات الألوف من أبناء الشعب، وجرت مظاهرات أثناء تشييع جنازة الشهداء، حيث هاجم أبناء الشعب الثائر دوائر البوليس، والدوريات الإنكليزية بالحجارة.

ونشرت تلك المظاهرات وعيًا في صفوف الشعب الفلسطيني العربي المسلم، وأخذ كل فرد يفكر بالثورة المسلحة على الظلم والطغيان، وأخذ إخوان القسام من العلماء يحرضون الشعب على القتال، وكان للعالم الشيخ كامل القصاب وزملائه دور بارز في استلام زمام المبادرة بعد القسام.

وسار موكب الجنازة مجللاً بالأعلام العربية، حيث صُلي على الشهداء في المسجد الكبير، وشيع القسّام إلى مقره الأخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات، سارتها على الأقدام حاملة نعش الشهيد، فكان مشهدًا رائعًا من المشاهد الحقة.

وقد نُعِيَ الشهيد عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى

ومساجد فلسطين، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب.

وفي اليوم التالي كتب الأستاذ أكرم زعيتر واصفًا الجنازة فقال:

«هل رأيت اليمّ الصخّاب، الجائش الفوّار، المتلاطم الأمواج الموّار، المُرْغي المزبد الهدّار؟ هل رأيت البراكين المضطرمة تقذف الحمم والنار؟ هل سمعت الرعود القاصفة تجلجل؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع؟ هل رأيت الأتون المستعر المتلظي المتأجج الوهاج؟

إن لم يكن هذا، فسل مَن مشى في موكب الشهداء في حيفا التي دوّت صرختها اليوم في الآفاق، وتصاعد زفيرها إلى أجواز الفضاء.

كل ذلك من أجل عصابة أشقياء!! أستغفر اللَّه، بل عصبة شهداء.

يقول البلاغ الرسمي: إنها عصابة من الأشقياء، وتقول الأمة الحية التي مشت في موكب التشييع: كلا، إنهم أبنائي، وذُوّادي، إنهم مهجي وشهدائي.

وفطن أهل فلسطين إلى الغرض الذي أراده القسام باستشهاده.

وبذلك يكون المجاهد الشيخ عز الدين القسام أول من عمل عملاً مركزًا للثورة وزرع بذور الحقد على الاستعمار البريطاني الغاشم وربيبته الصهيونية، وترك للأمة عشرات المخلصين قاموا بالدور الرئيسي البارز بالثورة الكبرى التي اندلعت في ١٥ نيسان سنة ١٩٣٦م[١].

وقد أزعج القسام السلطة المنتدبة حتى بعد موته، فقد استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها، وحظر عليهم كتابة شيء عن القسام، وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم.

---

(١) «جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن» ص(١٧٧).

ولقد ألقت ثورة القسام ظلاً كبيرًا على المسرح السياسي الفلسطيني، وأصبحت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية محكومًا عليها بالفشل.

وبموت الشيخ القسام انطوت صفحة مجيدة من صفحات البطولة والتنظيم والتخطيط الإسلامي في معارك فلسطين، إلا أن ثورة القسّام لم تمت بموته، بل بقيت منارة لأحرار فلسطين يؤمنون بأنه لا حياة لهم ولا كرامة بدون السير على خط ونهج الثورة في الكفاح والجهاد لإعداء كلمة اللَّه فوق أرض اللَّه المقدسة، وانطلاقة لهم منها إلى جهاد أعم وأشمل.

قال الشاعر محمد صادق عرنوس:

من شاء فليأخذ عن القسام
أنموذج الجندي في الإسلام
وليتخذه إذا أراد تخلصًا
من ذله الموروث خير إمام
ترك الكلام ورصفه لهواته
وبضاعة الضعفاء محض كلام
أو ما ترى زعماءنا قد أتخموا ال
آذان قولاً أيما إتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا
فإذا به وهم من الأوهام



ويقول الشاعر فؤاد الخطيب في قصيدة له[1] :

أولت عمامتك العمائم كلها
شرف تقصر عنده التيجان
إن الزعامة والطريق مخوفة
غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت أحسب قبل شخصك أنه
في بردتيه يضمها إنسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة
في الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت
فرحًا وهش مرحبًا رضوان

قال القسام ـ رحمه اللَّه ـ:

«ليس المهم أن نحرر فلسطين في بضعة أشهر، بل المهم أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة، وللأجيال القادمة»[2] .

قال الأستاذ محمد حسن شُرّاب:

«استشهد القسّام فوجدوا في ثيابه مصحفًا، وأربعة عشر جنيهًا. وزعم بعض المؤلفين أن القسّام باع بيته في حيفا قبل خروجه فسألت الأستاذ عبد الرحمن بن محمد الحنفي هل كنتم تمتلكون بيوتًا؟ فقال: إن

(١) «صوت الشعر في قضية فلسطين» لمحمد صادق عرنوس ص(٢٧).
(٢) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شراب ص(٣٠١).

القسّام لم يمتلك بيتًا، وإنما كان يسكن بيتًا مستأجرًا»[١] .

* إنك والله اليوم أخطب منك حيًّا :

«أجمل وأبلغ ما قيل في أثر استشهاد القسّام[٢] في الأمة قول أكرم زعيتر في يوم جنازة القسّام: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيبًا مفوّهًا، تتكئ على السيف، وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيبًا تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك والله اليوم أخطبُ منك حيًّا».

ذلك أن استشهاد القسّام كان أبلغ خطبة سمعها الناس، فكان للشهادة تأثير دائم، وكانت الشهادة أنشودة الجهاد في جميع المعارك التالية.

وبعد ثلاثة أيام من استشهاد القسّام كتب أكرم زعيتر يقول: «ليس من سبيل إلى الخلاص إلاّ الجهاد الدامي، وقد فتح فقيدنا القسّام الباب فلنلجْه، وإنا لفاعلون، إنها دعوة جديدة أخذت تظهر على ألسنة الناس، ويجهر بها الكُتَّاب، لم نكن نعرفها من قبْل، نفخت في الأمة روحًا لم تكن تفطن لها»[٣] .

وقال عجاج نويهض: «سافر القسّام، وكان جواز سفره الأكبر مصحفًا في جيبه وقلبه».

وقال حمدي الحسيني: «إن القسّام عدّل من هذه القضية ما اعوجّ».

---

(١) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» ص(٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) لا نجزم بالشهادة لأحد إلا ما جزم له الرسول ﷺ ونحسبهم شهداء عند الله ونكل أمرهم إلى الله.

(٣) «عز الدين القسام» لشراب ص(٣٠١).

▫ وقال صبحي الخضراء: «إن القسّام قضى على الردّة التي أفسدت على البلد اتجاهه».

▫ وقال أحمد الشقيري: «حاول الإنكليز أن يَصِموا القسّام بإشاعات كثيرة، منها: أن الشيوعيين هم الذين استخدموه. كذبوا كذبوا».

▫ وقال أكرم زعيتر: «بالأمس دفنّا القسّام، ودفنّا معه العدل البريطاني. لماذا التمجيد والتأبين ألأنهم ماتوا؟ كلا، بل لأنهم عرفوا كيف يموتون، وأيّ سبيل إلى الجنة يسلكون، القسّام خاطب العاتي بأفصح لغة، وأكرم بيان، فتح في القضية باب الجدّ، ودقّ بيده المضرّجة باب المجد».

▫ وقالت جريدة الجامعة العربية بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٣٦م: «يحتفل أبناء فلسطين بإحياء ذكرى مجاهد من «سوريا الشمالية» سقط شهيدًا في سبيل استقلال «سورية الجنوبية»، وليس ذلك فحسب، بل قاد حملة جهاد لعلها الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام الحديث في فلسطين وسورية والشرق العربي بأسره».

«يُجمع المؤرخون الذين عاصروا العقد الرابع من القرن العشرين على أن استشهاد القسّام كان المولد، والحياة والقدوة للشعب الفلسطيني في جميع مراحل نضاله، حيث قدّم القسّام إلى الشعب المسلم في فلسطين المثل الأعلى في الجهاد الذي كان ينتظره وألهبت حركته واستشهاده في الشعب الحماس، وصارت مثلاً للجرأة والجهاد العلني ضد الإنكليز. وأجبر أصحاب الاتجاهات السياسية والفكرية على الإقرار بتفوق العمل القسّامي على كل عمل يسبقه، وقوة تأثيره فيما لحقه، ولم يتفق الكُتّاب والمؤرخون على صحة زعامة رجل عمل في الحقل الوطني

كما اتفقوا على استحقاق القسّام لقب الزعيم والقائد»[١].

☐ وقال أكرم زعيتر في رسالته إلى المندوب السامي في ١٩/٤/١٩٣٦م: «إن شخصًا كالشيخ عز الدين القسّام لا ينتمي إلى عائلة كبيرة، ولا يمت بصلة إلى الزعامات الحكومية، ولم يرشح نفسه لكرسيّ من كراسيها، يتمتع برعاية وتقديس واحترام لا يحلم بمثله أكبر زعيم».

☐ وقال «عجاج نويهض» يصف حال فلسطين بعد استشهاد القسّام: «كانت فلسطين تُولد رُوحيًّا ولادة ثانية. صارت صورة القسّام وحوارييه كأنها آية نجوم سماوية تضيء، لا فلسطين وحدها، بل الرقعة العربية كلها، اكتسحت نفوس الناس موجة كلها عواصف وزعازع، وزفير كزفير النار. ابن العاشرة استوى في هذه الموجة مع ابن العشرين والثلاثين والأربعين، حتى التسعين فما فوق، النساء أصبحن يحملن الروح القسّامية أشد من الرجال.

☐ وصل تأثير استشهاد القسّام إلى عواصم الأقاليم العربية، وأرسل الدكتور أمين رويحة من بغداد لأكرم زعيتر برقية قال فيها: «لقد أحيا القسّام وإخوانه في نفوسنا الأمل، بعد أن كدنا نفقده، وليتني علمت بعصابتهم قبل الآن، لكنتُ واللَّه أوّل من ينضمّ إليهم، فهذا واللَّه سبيل الخلاص وَحْدَه».

☐ وقال المؤرخ عمر أبو النصر مؤرخًا ثورة ١٩٣٦م: «إن الثورة لم تبدأ في نيسان سنة ١٩٣٦م، بل بدأت يوم تشييع القسّام، يوم رأينا حيفا

---

(١) «عز الدين القسّام» لشرّاب ص(٣٠٩ ـ ٣١٠).

تضطرب في موجة حزن، وتجتمع في نعش ميت، وتخرج بأعلامها وراياتها وآلامها وأحزانها ونسائها وشيوخها وشبابها، تضع هذا كله على بضعة أشبار من الأرض استراح إليها بطل، ضحكت أمانيها على فمه، ولم تفطن إلى عبقريته وتضحيته حتى سقط على أرضها صريعًا، عندئذ فَطِنت إلى عِظَم ما قام به في سبيلها، وكيف أنه نفخ فيها روحًا لم تكن تفطن لها مِن قبْل... وكذلك جعل اللَّه من جثة القسّام الهامدة وطنًا يُشعِر بالحرية، ويعيد للذكرى التضحيات، بل يَا لَهُ من جسدٍ لم يكد الموت يتلقاه حتى أفاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الأرض من غير أن يفطن واحدٌ منهم إلى أضواء الحياة».

قال القسام:

«إن الصليبية الغربية الإنجليزية، والصهيونية الفاجرة اليهودية، تريد ذبحكم كما ذبحوا الهنود الحمر في أمريكا، تريد إبادتكم أيها المسلمون، حتى يحتلوا أرضكم من الفرات إلى النيل، ويأخذوا القدس، ويستولوا على المدينة المنورة، ويحرقوا قبر الرسول ﷺ، إنهم يريدون اللعب بأمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وتحويلهن إلى خدم وسبايا!!.

يا ويلكم ألا تفهمون؟ رسول اللَّه ﷺ يقول: إذا ديس شبر من أرض المسلمين، فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها[1]، وعلى الولد أن يخرج بغير إذن أبيه، أيها المسلمون ألا تفهمون؟

أيها المؤمنون، فرض اللَّه علينا الجهاد ليحمينا به، ليحمي أرضنا

---

(١) هذا في جهاد فرض العين. ليس هذا بحديث، ولكن هذا ما فهمه أهل العلم من النصوص الآمرة بالجهاد إذا أصبح فرض عين... حين يداهم العدو بلدة بعينها فيصير الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة.

وعـرضنا، قال تعـالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ لقد ملأ اليهود بلادكم، ولقد سرقوا أرضكم.

ولما حان الوقت المناسب، صـرخ القسام من فوق منبر الاسـتقلال بألوف المسلمين: «باسم اللَّه نعلن الثورة، سأخـرج فورًا إلى الجهاد، لن أعود إلى هذا الجامع إلا بعد طرد الإنجليز واليهود»[1].

وخرج ولم يعد، لا لشيء إلا لأنه سقط شهيدًا».

* الحمد للَّه الذي شرفني باستشهاد أبي:

وفي أول مؤتمر نسـائي عربي في التاريخ عقـد لأجل فلسطين عام ١٩٣٨م وقفت مـيمنة ابنة الشـهيد عـز الدين القسـام خطيبـة في وفود النساء، وحـدث في أثناء إلقائها الخطـاب أن غلبها التـأثر، وبدرت منها بادرة إغماءة، وكان ذلك التأثر البالغ، يبدو جليًّـا على العموم، دموعًا أو تصفيقًا، فأجلست، وأحضر الماء لـرشه على وجهها وسارعت السيدة ساذج نصار، فتناولـت الخطاب، وراحت تكمله بإلقاء موفق، ولكن لم تكد تلقي فقرات منه، حتى نهضت ميـمنة، واستعادت وعيها، وتناولت الخطاب في عاصفة من التصفيق، واستأنفت إلقاءه ومما جاء فيه:

«هل تسمحن أن تتكلم عربية يا سيداتي، أبوها شيخ جليل، وعالم من علماء الدين، له أنصار وتلامـيذ، ألف منهم عصبة كـريمة مجاهدة، ومضى بهم إلى أحراش يعبد ورَوابي جنين.

وهنـالك وقف في مواجهـة جيش الظالمين، وهتف بإخـوانـه:

---

(١) «الإسلام وحركات التحرير العربية» ص(٢١٠).

(٢) «عز الدين القسام» لعوني العبيدي ص(١٤٢ ـ ١٤٣).

الله أكبـر، الله أكبر. ثباتًا ثبـاتًا موتوا في سبـيل فلسطين، وما هي إلا ساعـة حتى كان أبي وملاذي، الشـيخ عز الدين القسـام، صريع الظلم والعدوان يخضب دمه عمامته البيضاء، ويسقي شجرة الاستقلال في ثرى فلسطين، وقال التاريخ: عز الدين أول شهيد في الثورة، دق باب الحرية بيده المخـضبة بـالدماء، فكان استـشهاده أسـتاذًا في الفـداء، أما طلابه ومريدوه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

نعم، منهم من خـاض الغمـرات وغـشي المعامع، واسـتبـسل في الوقائع، وهو لا يزال في الجـبال، والوهاد، في المغـاور والكهوف، لم يلق سلاحه، ولم يستسلم، حتى تنجو فلسطين من كيد الكائدين.

أما أنا فلست أقـول سوى: الحمد لله، ثم الحمـد لله الذي شرفني باستشهاد أبي، وأعزني بموته، ولم يذلني بهوان وطني واستسلام أمتي»[1].

◻ قال الشاعر عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى»:

إيـه رجـــــالَ الـعُــــرْب لا ... كنتم رجـــالاً في الوجـــودِ

قـومـوا اسـمـعـوا في كل نا ... حـيـةٍ يصـيح دمُ الـشـهـيـد

قـومـوا انظروا القـسّـام يُشـ ... ـرق نوره فـــوق الصـــرود

يُـوحي إلـى الـدنـيــــا ومَـنْ ... فـــيـــهـــا بأسـرار الخلودِ

◻ وقال الشاعر حسن الباش:

يا أمتي في رُبا الإسراء ملحمةٌ ... فرسانها في ألحان صدى القسّام

ذاك الذي سطّر التاريخ من دمه ... وصـــاغ منبـــره عـــقل وإيمان

(١) «عز الدين القسّام» لعوني العبيدي ص(٨٨ ـ ٩٠).

□ وقال الشاعر عبد الرحيم محمود:

حفي اللسان وجفّت الأقلام
والحالُ حالٌ والكلام كلامُ
إني رأيتُ الحقَّ فَصْل خطابه
يتلوهُ فينا الفيصل الصمصامُ
اصهر بنارك غُلّ عُنْقك ينصهرْ
وعلى الجماجم تركُزُ الأعلامُ
وأقم على الأشلاء صَرْحَك إنما
من فوقها تُبنى العُلا وتُقامُ
وخذ الحقوق إليك لا تَسْتَجْدِها
إن الأُلى سلبوا الحقوق لِئامُ
هذي طريقك للحياة فلا تَزغْ
قد سارها من قبلك «القسّام»
ذاك الذي هجر الكلام لِفَتْكَةٍ
بِكْرٍ وهلْ فكُّ القيودَ كلامُ؟[1]

(١) عبد الرحيم محمود (١٩١٣ ـ ١٩٤٨) شاعر مجاهد من قرية «عنبتة» بقضاء طولكرم، استُشهد في معركة الشجرة بمنطقة الناصرة، وكان ضابطًا في جيش الإنقاذ... تنبّأ بضياع القدس منذ ١٩٣٥م عندما خاطب الأمير سعود بن عبد العزيز يوم زار فلسطين سنة ١٩٣٥م فقال:

يا ذا الأميرُ أمام عينك شاعرٌ ... ضمّت على الشكوى المريرة أضْلُعُهْ
المسجد الأقصى أجئت تزوره ... أم جئتَ مِن قبل الضياع تودّعه
وغدًا وما أدناه لا يبقى سوى ... دمعٍ لنا يهمي وخدٍّ نقرعهْ

* هذا عزّ الدين فماذا قال الساسة:

«في سنة ١٩١٩م جاءت إلى اللاذقية لجنة من الأمـريكيين لاستفتاء الناس في شأن مصيرهم، واختيار دولة تكون وصية عليهم فشخص وفد من جبلة لمقابلتها، وكان الشيخ من أعضائه، وعندما سُئل عن رأيه جهر بالقول: لا وصـاية، ولا حمـاية، فقال رئـيس اللجنة: نعتـقد أنكم لا تستطيعون إدارة أنفسكم، وحماية بلادكم، فردّ الشيخ قائلاً:

«إننا نسـتطيع، وليس غـيـرنا أقـدر منا على ذلك، ولدينا قـوّة لا يملكها سوانا»[1].

وأخرج المصحف من جيبه وقال: هذه قوّتنا».

❑ بعد ستة أيام من موت القسّام اجتمع ممثلو الأحزاب السياسية مع المندوب السامي وقـدّموا له مذكرة جـاء فيها: «إنهم إذا لم يتلقَـوْا جوابًا عن مذكـرتهم، يكونُ مُرضـيًا فإنهم سيفـقدون كل ما يملكونه من نفوذ على أتباعهم، وعندئذ تسود الآراء المتطرّفة غير المسؤولة، وتتدهور الحالة سريعًا»[2].

فجعلوا الخوف على النفوذ والمراكز دافعًا لتحقيق المطالب، وجعلوا إعلان الجهاد بالسلاح سلوكًا متطرفًا!!

* شنْشنة أعرفها من أخزم[3]:

قد أعاد التـاريخ نفسه بعد ستين عامـًا، فسَرَت هذه «الشِّنْشِنة» من

---

(١) «عز الدين القسّام» لشُرّاب ص(٣٧٠).

(٢) المصدر السابق ص(٣١٤).

(٣) مثل عربي. والشنشنة: الطبيعة والسجيّة، وكان أخزم عاقًّا لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا =

أخزم إلى أولاده، فما زلنا نسمع العبارة نفسها من المفاوضين والرؤساء، والقوّاد «إذا لم تعطونا ـ الأقل من القليل ـ ساد المتطرفون والإرهابيون» فعدَّ أبناء أخزم المطالبة بفلسطين كلها تطرفًا وإرهابًا.

البحثُ عن قبرٍ لعز الدين القسّام[1]

(١)

أحملُ مصباحَ «ديوجينَ» وأمضي روحًا هيمانْ
أبحثُ عن رجل بين الأحياءْ
يا من يهديني لطريق
يحملني للإنسان!!
للرجلِ الإنسانْ!!
لكن النهر الفياض بوطني صار عقيمًا
لاينجبُ إلا الفقاعاتْ
والأرض المعطاء الحبلى
ما عادت تنبتُ إلا القات..
والمعتقلات
ـ يا من تحملُ مصباحك في التيهِ الأعظم
إن تهتفُ في عصرِ الغربة
«لا قوةَ إلا بالله..»
تخرسك ألوفُ الأصواتْ

= جدّهم وضربوه فقال الجدّ ذلك.

(١) قصيدة للدكتور جابر قميحة ـ القدس مجلة العدد ١٧ ـ صفر ١٤٢١ ص(٥٨ ـ ٦٤)... كم هي جميلة إسقاطاتها وما تحمل من معاني.

«لا قوة إلا بالعُزى . . .

لا قوة إلا باللاّتْ . . . »

فالعصرُ مَواتْ . .

عصرُ الأنطاعِ الأوثانْ

عصرُ الخصيانْ

عصرُ العُرجانِ العميان

لا عصرُ الرجلِ الإنسان

❁ ❁ ❁

يا شاعرَ عصرِ الغربةِ . . والكُربة

أطفئْ مصباحَك

وفر زيتكَ . .

وتوكلْ

لا تبحثْ عمَّن تطلبُ في الأحياءْ

من تبحث عنه استُشهدَ . . . مات

من تبحثُ عنهُ محضُ رفاتْ

اطلبه هناك

في أرض المسرَى في الأموتْ

(٢)

يا عزَّ الدينِ القسام

يا ابنَ الإسلامْ

يغلبني الشوقْ

يهتف في أعماقي صوتٌ من أعماقِ الغيبْ

يهزّ كياني
كي أسعى نحوكْ
أن أمضي للقبرِ الثاوي في أرضِ المسرى المنهوبةْ
أستنشقُ عَبَقَ المجدْ
في طيبِ اللحدْ

❀ ❀ ❀

لكنْ قالوا لي:
«حتى تجتازَ حُدودَ الوطنِ إلى الأرضِ المسلوبةْ
إذنُ الملكِ المنصورِ ضروره
تذهبُ للقصرِ العامرِ
وتسجلُ اسمكَ في دفترْ
يُسْمَى بسجل التشريفاتْ
تحت عباراتٍ تكشفُ عن إخلاصٍ وافٍ
لا أي عباراتْ»



لكنْ...
لا أدري ماذا أكتبْ
ولقد عشتُ شريفًا
وعفيفًا
أمضي سنواتِ العمرِ رفيعَ الرأسِ نظيفًا
ملكًا يحتقر التاجْ

مملكتي قلبٌ نبوي

وسلاحي قلمٌ نوويُ

لم ينبضْ إلا بالحقْ

ينشقُّ الصخرُ ولا ينشقْ

لكنَّ كرامةَ ذاتي مهما عَظُمتْ

يغلبُها الشوقُ إلى الأحبابْ

في عصرٍ يحكمُهُ الخصيانُ بِشرعِ الغابْ

معذرةً يا نفس

هُوني لحظة

أو لحظاتْ

من أجلِ شهيدٍ ظلَّ يقاتلُ حتى ماتْ

(٣)

مسئولُ التشريفاتِ ـ على ما يبدو ـ رجل طيبْ

استنتجَ أني قرويٌّ طيّبْ

أملاني . . . اكتُبْ

« مولايَ الملكَ المنصورَ . . . طويلَ العمرْ

يسعدني أن تأذنَ لي

أن أرحلَ لزيارةِ قبرِ عزيزٍ ماتْ . . .

استشهدَ . . . »

ـ ويرن التلفون بحجرةِ رجل التشريفات

يتوقفُ رجل التشريفات عن الإملاءْ

يظهرُ أن المتحدث ذو حيثيّةْ
فرئيسُ التشريفاتْ
نبرتُه في الهاتف جدٌّ خفيضةْ
تتدفقُ بالأدبِ الجمْ
ماذا لو أكملُ شخصيًّا باقي الفِقرةْ
ما دام سيادتُه مشغولاً . . .
أكملت :
« استُشهدَ من زمن زادَ على نصفِ القرنْ
في أرض الأقصى المسلوبةْ
وأخيرًا : أدعُو لجلالتِكم بالسعدِ وطولِ العمرْ »
توقيع :
المخلص جابرُ « ابنُ » قميحةْ
أستاذٌ في جامعة تدعى « عين الشمس »
والألسنُ اسمُ الكليةْ
ومعارٌ للعام الخامسِ في الجامعةِ الإسلامية

(٤)

رجلُ التشريفاتْ
يضعُ السماعة في عصبيةْ
ـ هيه . . . أسمعني ماذا أمليتُ عليكْ
ـ أمليتَ سيادتُكم جزءًا
وشُغلتم بالتلفون . . .
أكملتُ أنا الباقي حتى لا أهدر وقتَ سعادتِكم

- أسمعني كلَّ المكتوبْ

- « مولاي الملكَ المنصورَ... طويل العمرْ

يسعدني أن تأذنَ لي

أن أرحلَ لزيارة قبر عزيز ماتْ

استشهد من زمن زاد على نصفِ القرن

في أرضِ الأقصى المسلوبةْ

وأخيراً أدعو لجلالتكم بالسعدِ وطول العمرْ »

توقيع: المخلص جابرُ « ابنُ » قميحهْ

أستاذ في جامعة تدعى « عين الشمس »

والألسنُ اسمُ الكليةْ

ومعارٌ للعام الخامسِ في الجامعةِ الإسلامية

❀ ❀ ❀

ويثورُ رئيسُ التشريفاتِ بصوتٍ كزئير الريحْ

- يا عجبًا ... تعجلُ في إكمالِ كلامي بكلامٍ لا يحملُ معنى..

عندكَ أولاد؟؟

- خمسةْ... غيرُ رفيقةِ عمري... الزوجةْ

- أتريدُ تُرمِّلُ زوجَك يا مسكينْ؟

أتريدُ تيتمُ أولادكَ؟

أو في أحسنِ فرضٍ تغلقُ أبوابَ المستقبلِ في أوجُههمْ؟

كلماتك حتى الآن...

لا تكشفُ عن جوهرِ إخلاصِك

ـ ماذا أفعل؟
أشطُبُ ما خطتْ يمنايَ...
وهذِي المرةَ لا أكتبُ إلا ما تُملي.
ـ ههْ.. أستاذٌ في جامعة يجهلُ
أنَّ الشطبَّ بمستندٍ رسميٍّ يعتبرُ جريمةْ!!
وسجلُ التشريفات
في قانون الدولة ـ إن لم تعلمْ ـ
أعلى مستندٍ رسميْ
لكنْ... أكملْ.. أكُتبْ:
« ملحوظةْ:
مثلُ العنوانْ..
تكتبُ في الآخِرِ لكنْ في الأول تُقرأْ
ما أنسانِيها الشيطانْ
بل أنسانيها شدةُ إحساسي...
فيضُ شعوري
بجلالِ الملك المنصورْ.
يا منصورُ أدامَ اللّه بقاكْ
وأذلَّ اللّهُ عِداكْ
أنا لا أنتسب لحزب أيًّا كانْ
وليسَ وراءَ زيارةِ هذا القبرْ
ما يدعوه الناسَ سياسةْ
أفديكَ ـ طويلَ العمرِ ـ بروحي وبأولادي
وبآبائي، وبأجدادي، وبأحفادي، وبجامعتي،

وبما تملكُ يا منصورُ يميني.

التوقيع: المذكور بأعلى الصفحةْ

(٥)

وهنالِكَ في صدرِ البهو الأعظمْ

وعلى عرشٍ من ذهب إبريزْ

كانَ طويلُ العمرِ مهيبًا يجلسْ

ولأنَّ الملكَ المنصورَ يحبّ الشعرْ

صدحَ الشعراء بما نظموا.

كانوا قيعانًا.. غربانًا

نعبتْ بنفاقٍ منكوسْ

القاعُ الأول:

خيبان بن الهايفْ... يمضي فيقول:

بسيفكَ يعلو الحقّ والحقُّ أغلبُ

وترعبُ إسرائيلَ إن شئت تضربُ

فسيفكَ من نار تمجُّ... لهيبها

وليسَ لهم من نار سيفك مهربُ

إذا كان دينُ القوم غدرًا وخسةً

فإن الجهادَ المرَّ عندك مذْهبُ

بسيفكَ يا منصورُ أنتَ مُغلَّبُ

وباراكَ مقهورُ ذليلٌ يُغلبُ

وشتانَ ما طورٌ أشمٌّ وقاعُهُ

وشتانَ ما ليثٌ هصورٌ وأرنبُ

❀ ❀ ❀

وسمعتُ القاعَ الثاني
عنينَ بنَ المجبوبِ يقول
ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ
لا سيفَ إلا سيفُك البتَّارُ
فرِّقْ بسيفكَ جمعَ كل كتيبةٍ
فالسيفُ في يمنَاك عزمٌ نار
ولأنتَ منصورٌ، وغيرُك مدبرٌ
متعثِرٌ، متمزقٌ منهارُ
يأيها المنصورُ دمت مظفراً
حتى يُنَالَ على يديك الثَّارُ

❀ ❀ ❀

وسمعتُ القاع الثالث: وسنانَ بنَ الهرمةِ يُنشدْ:
إذا نطقَ الأعداءُ فهو هُراؤهم
وإن نطقَ المنصورُ فهو جهنمُ
وسيفَكَ إن تَرفَعْ بوجه عدونا
تهتَّكَ وجهُ الليل والليلُ أبْهمُ
ويُنْهلُ «باراك» إذا ما بَدَهتهُ
فلا قلبه قلبٌ ولا يَنطقُ الفمُ
إذا ما عزمتَ العزم ذابت جيوشُهمْ
فليس يُرى إلا الجماجمُ والدمُ

(٦)

يا عزَّ الدينِ القسامْ

يا بنَ الإسلامْ
ما اهتزتْ نفسي للشعراءِ الغربانْ
القيعان
جوقةِ كل بلاطٍ في كل زمانْ
لكني اهتز كياني الموجوعُ
وتمزق قلبي المصدوعُ
إذ أسمعُ سيفَ المنصورِ
ينشج في صوتٍ مصدورِ
يتحدث بالهمس المخنوقِ لغمده:
- أطلقني
للّه.. ولوْ لحظةْ
فُكَّ إساري - يا غمدُ - ولو لحظةْ
إني أختنقُ وأحتضرُ.
من سنواتٍ
وأنا في لحدكَ أحترقُ
وعداً منّي
أطلقني أتنفسُ لحظةْ
ثم أعودُ إليك
- لا.. لا أقدرُ يا مسكينُ على ذلكْ
فأنا أعلمُ
- إنك أيضًا تعلم يا مسكين -
أنك عبدُ المأمورْ

وأنا لا أعدو كوني عبدَ المنصورْ
أنا يا خِدني ما أغمدتك طوعًا في أحشائي
فوجودك يحزنني.. يؤلمني
يُدْمي بُنياتي..
يصدئُ جُدراني
لكنَّ الملكَ المنصورَ طويل العمرْ
أصدر فرمانًا مرقومًا
بالسابعِ والستينَ وتسعمائةٍ بعدَ الألفْ:
نصُّ المرسوم ـ على ما أذكر ـ
«باسم الشعْبْ
مرسومٌ لا يقبلُ نقضًا أو إبرامْ
يُتحفظُ في الغمدِ على سيفي هذا
إكرامًا لجلال السيفْ
[تفسير]:
قد جاءَ قراري ـ نحنُ الملكَ المنصورْ...
من منطلقٍ إنسانيٍّ بحتْ
فأصونُ جلالةَ سيفي أن تتنجسَ بدم الكفارْ
وأنا الملك الطاهرُ من نسلِ الأطهارْ
أجنحُ للسلمْ ما أبشعَ في نظري لون الدمْ»

(٧)

يا عزّ الدين القسّامْ
يا بنَ الإسلامْ...

وتركتُ السيفَ بقصرِ الملكِ المنصورِ
يجودُ بآخرِ أنفاسهْ
وشهدتُ الخيلَ بساحةِ قصرِ المنصورِ
طويلِ العمرْ
تتثاءبْ. . .
تتمطَّط . .
تتمرغُ في أعْشابِ الذلْ
تثْقلُها أسرابُ ذباب ترقدُ في أعينها
تمتصُّ الباقي من لمعانٍ وبريقٍ
ورثتهُ من خيلِ الخندقِ واليرْموكْ . .
سَلْها . . . صدِّقني
غشيتْ أعينُها في ليلِ القصرِ
حبيسةَ ذلٍّ وخنوعْ
ما عادتْ ـ يا عز الدين ـ تشاهدُ صبحًا
أو تضبحُ صبحًا
أو توري قدْحًا
أو تبعث نقعًا
أو تتوسط جمعًا .
. . . فأتيتُ إليكْ
أبكيكَ بماءِ القلب . . . . وأبكيني
علَّ دموعي تطفئُ ما يجتاح ضلوعي
من أوجاعي

أبكي سيفًا يستصرخُ
مخنوقًا.. محروقًا في زنزانةِ غمدْ
أبكي خيلاً سلخوا منها الصهواتْ
نسيتْ معنى الكرْ
ومعنى الفرْ
ومعنى الأمْرْ
ومعنى النهضةِ للنجدات
نسيتْ شكلَ القائد والفرسانْ
في زمن الذلة والغَثَيانْ
زمنِ القيعانِ الغربانْ
والخصيانْ

(٨)

لكنْ ضلَّت قدمايَ إلى قبرِكْ
ربَّاهْ...
إني لا أجهلُ هذا القبرَ فكيفَ أضِلْ!!؟
... ربّاهُ!!!
ورأيت بكفِّ صبيٍّ صهيوني شاهدَ قبرِكْ
وعليه بقايا خط منقوش
« ... هذا قبرُ البطلِ القسامْ
.. عز الدين القسّام...
استشهد في الـ...»
والباقي مَمْحُوٌّ ـ يا عزَّ الدينِ ـ من الشاهدْ

والشاهدُ في كفِ الطفلِ الصهيوني
مضرب كرةٍ يلهُو بهْ
ـ يا ولدي...
إني من وطن يُدْعى «الوطنَ العربيْ
ـ العربي؟؟!!
لكنَّ مدرِّسَةَ الجغرافيا
قد أنهتْ منهجها الأمسْ
ما ذكرتْ أن خريطةَ هذا العالم كله
فيها وطنٌ يُدْعَى الوطنَ العربي
ـ لا يا ولدي.. وطنٌ ذو علمٍ مشهورْ
ومليك يُدْعى المنصورْ...
ـ منصور؟؟! شيءٌ مُضحِكْ
أستاذُ التاريخْ
لم يذكرْ شيئًا عنِ شيءٍ يُدعَى المنصورْ
ـ يا ولدِي.. دعنا.. مِنْ هذا
تتكرمُ... تُعطيني الشاهدْ؟!
ـ شاهدْ؟؟!!
ـ تعطيني اللوحَ الحجريًّا
ـ أوهْ!! تَعني المَضْرِبْ؟!
ـ أعني المَضربْ...
ـ لا... لا أقدرْ..
أختي وجدَتْهُ خلْفَ الحانةْ...

هذي الحانةْ

ومحوْنَا وسخًا أسودَ... كانَ عليه

نُقطًا... وحروفًا لم نفهمها

لكنْ ما زالتْ فيه بقيةْ...

وعدتني أمي أن تمحوها... بالسكينةِ أو ماء النار

ـ تعطيني المضْرب يا ولي بمقابل قطعةِ شكلاتةْ

ـ شكلاتة؟؟!

أمي تنهاني عنْ أكل الحلوى والشكلاتةْ

انظرْ أسناني ـ قالت أمي ـ

تتآكلُ مِنْ أكلِ الحلوى

ـ لا حلوى...

تعطيني المضربَ... أعطيكَ جنيهًا

ـ ولماذا؟

ـ لي ولدٌ مثلُك أهديه المضربَ في عيد الميلادْ.

ـ لكنْ يمكنُك بهذا المبلغ... بل نصفِه

أن تحضرَ أجملَ بكثيرٍ منْ هذا اللوحِ الحجريّ.

ـ يا ولدي...

عجبًا أن ترفضَ أن تعطيني شيئًا...

ـ في الواقع ـ لا قيمةَ لهْ.

ـ إن كان صحيحًا ما تذكرْ

فلماذا تدفعُ فيه جُنَيْه؟

ـ يا ولدي... إِني... أَصْلي... أَعْني... لكنْ!!

لكنِّي أبغي هذا المضربَ بالذاتْ

ـ لا أقدرُ

قالت لي أمِّي «إنَّا في وطني الأعظم إسرائيلْ

لا نمنحُ شيئًا للغرباءْ

أن نأخذ . . . آه

أن نعطي لا .

فالأخذُ غنيمةْ

والمنْحُ ـ كما قالت أمي ـ إثمٌ وجريمةْ »

أستاذُ التربية القومية في مدرستي كرَّر ذلك

(٩)

يا عزَّ الدين القسامْ

يا بن الإسلام

في ساحة قبرك ما عادَ هنالكَ قبرْ

لكنَّ مكان القبر بناءٌ يسبحُ في الأنوارْ

وأمامَ المبنى لافتةٌ زينت بالأزهارْ:

حانةُ كوهين الكبرى

الحانةُ تسهرُ حتى الفجرْ

موسيقا . . . وعشاءٌ راقصْ

برنامج حافلْ

داليدا تشدو

أغنية ما غنتها قبلُ بحانةْ

اسمُ الأغنية « كعك العيد »

لحنها الموسيقارُ الأعظم
. . . شأمُو بيد »
وقرأت هنالك أيضًا
في لوحة برنامج هذي الليلةْ
« سالومي في رقصةِ عشقٍ
ما رقصتها إلا سالومي التوراةْ
(رأس يُحنا) اسمُ الرقصةْ
بعد الرقصة تُطفأ في الصالةِ كلُّ الأنوارِ
لخمسِ دقائقْ »

(١٠)

يا عز الدين القسّام
يا بنَ الإسلامْ
وهنالك بعد الليل الفاجرْ
سقطَ القومُ نشاوى
وزحفتُ أعاني سُكرَ النكبةِ والمأساةْ
ونبشتُ الجدرانْ
وحملتُ رفاتَكَ من قاعِ الحانْ
وزحفتُ بأرض فلسطين وأرضِ العربِ المسروقةْ
أبحثُ عن قبرٍ . . .
كهْفٍ . . .
شبرٍ في الأرضِ
أواري فيه رفاتَكْ

لكنْ أعياني البحثْ
أدمى قدميَّ الإعياءْ
ما عاد هنالك في الوطنِ العربي مكانٌ
يتسعُ لقبر شهيد
أرضُ الأوطانِ العربية
شُغلتْ يا عز الدين القسّامْ
والخالي من أرض الأوطانْ
قد سُورَ بالأسلاك الشائكة الصمَّاءْ
وعليها لافتة كتبتها أقلامُ الذلِّ
بخطٍّ داعرْ:
« محظورْ...
التصويرُ هنا مَحْظُورْ
محجوزْ...
محجوزٌ لبناءٍ عماراتٍ للإسكانِ الفاخرْ
محجوزْ...
محجوزٌ لمشاريعَ سياحيةْ
محجوزْ...
محجوزٌ لاستثمارٍ عاجلْ»

(١١)

يا عزَّ الدين القسامْ
يا صرخةَ حقٍّ نبعتْ من روحِ الإسلامْ
يا ألف وسامٍ في صدرِ الأيامْ

لم يبق مكانٌ لرفاتِكَ
في أرضِ الوطنِ العربيِّ المسروقْ
وطني المسحوقِ المحروقْ
معذرةً يا عزَّ الدينْ
أعياني البحث
وكأني قابيلٌ يحملُ جثمانَ أخيه
لكنْ . . .
أني لي بغرابٍ يبحثُ في الأرضِ
يُريني . . .
أينَ أواري يا عز الدين رُفاتَك؟
معذرةً لا ألمحُ في الأفقْ غرابًا
معذرةً . .
لا أملك إلا أنْ أزحفَ في هدأةِ ليلي المصلوبْ
لأعود إلى الحانِ المخمورْ
وأواري تحت جدار الحانِ رفاتَك
وأهيل تراب الموتِ عليك
ولأخمد أنفاسِي بين يديكْ
وأوسدَ في القبرِ السافلِ
جثمانَ الشرفِ العربيْ
صرْنا يا عز الدين ثلاثةْ
لا . . . بل خمسةَ في قبرٍ واحدْ
يعلوه ألحان المخمورُ:

في البدْءِ رفاتٌ مقهورُ
وفتى يحيا عصرَ الغُرْبةْ
ينظمُ شعراً
يُمليه القلبُ المفطورُ
والشرفُ العربيُّ الدامي
وحصانٌ مسلوخُ الصهوةْ
والخامسُ سيف المنصورِ
مثلومَ النخوةِ والسطوةْ
أصدأه الغمدُ السجانُ
وهوانٌ يتْلوهُ هوانُ
وليحْيَ الملكُ المنصورُ طويلُ العمر

❁ ❁ ❁

* يا بلادي ما أعظم ما تنجبين من رجال!!!:

قُدِّم عدد من أصحاب القسّام إلى المحكمة، فاعترفوا بحمل السلاح والاشتباك مع الإنكليز.

قال أحمد الشقيري يصفهم أثناء سجنهم: «وكانت سكينة الإيمان والتقوى ترتسم على وجوههم، وتتحكم في سلوكهم، ولم يكن فيهم ما ينبئ أنهم خرجوا من المعركة أمس، ولا حرج عليهم أن يعودوا إليها غدًا».

ومما قاله الشيخ نمر السعدي أمام المحكمة: «إنني أعترف بكوني صديقًا للقسّام، ومن أنصاره، وأعتقد أن الشيخ عز الدين القسّام على الحق في كل ما عمل، وليس على باطل، ولم تكن له مآرب شخصية، وإنما هو مجاهد في سبيل اللَّه والوطن»، وقد هتفت الجماهير في المحكمة للمحكوم عليهم وهم خارجون من المحكمة، فخاطبهم الشيخ أسعد المفلح قائلاً: «لا تخافوا علينا، إننا لا نخاف أحدًا إلا اللَّه نحن على حق، ولا تهمنا القوة، ما دمنا مؤمنين بحقنا، واللَّه أكبر وللَّه الحمد». فرددت الجماهير «اللَّه أكبر، اللَّه أكبر».

يقول أكرم زعيتر مذيّلاً ما نقلته عنه في محاكمة عصبة القسّام:

«إنني أكتب هذا وقشعريرة التأثّر تتملكني، يا بلادي! ما أعظم ما تُنجبين من رجال»[1].

* أول هجوم مسلح بعد استشهاد القسام:

وفي الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٣٦م قامت أول مجموعة

(١) «عز الدين القسّام» ص(٣١٥ ـ ٣١٦).

من إخوان القسام بقيادة الشيخ المجاهد فرحان السعدي والسيد محمود ديراوي بالهجوم المسلح على سيارات اليهود، وقتلت منهم ثلاثة، وجرحت آخرين على طريق (نابلس ـ طولكرم).

*** الموت للخونة:**

وكان القساميون لجؤوا في تلك الفترة إلى الاغتيالات الفردية لإرهاب الجواسيس وسماسرة الأراضي، فاغتالوا كثيرين، كان في مقدمتهم الضابط حليم بسطة مدير القلم السياسي في شرطة حيفا، وكانوا هاجموه في المرة الأولى وأطلقوا عليه الرصاص فجرحوه، ثم هاجموه بعد ذلك في رابعة النهار، ورموه بسبع عشرة رصاصة، استقرت في جسده، ولم يبرحوا المكانْ حتى تركوه جثة هامدة، ثم انصرفوا دون أن يتعرض لهم أحد أو تعرف أسماؤهم.

وحليم بسطة هذا ضابط مصري قبطي معروف بشدة ولائه للإنكليز، وبدهائه وبراعته في مقاومة كل حركة وطنية ولا سيما في حيفا، ويعتبر الجاويش أحمد نايف، المشهور بمطاردته للثوار، والذي قتل في أثناء الثورة من تلاميذه.

❐ أما أحمد نايف الجاسوس الذي وشى بعصبة القسام، فقد اغتاله المجاهدون في حيفا، قبيل محاكمة جماعة المجاهدين.

ومن أبلغ مظاهر الوعي الوطني أن المسلمين لم يكتفوا بالامتناع عن السير في جنازته، بل إنهم أغلقوا أبواب المساجد، وراحوا يحرسونها مقسمين ألا يسمحوا بالصلاة عليه، كما أبوا أن يدفنوه في المقبرة، فأرجأت السلطة دفنه حتى الليل، ثم عينت حارسًا له لئلا ينبشه النابشون.

وأما الذين ساعدوا في القبض على المجاهدين أو شهدوا زورًا أثناء محاكمتهم، فقد اغتالهم المجاهدون في أوائل عام ١٩٣٧م.

ففي ١٥/ ١/ ١٩٣٧م وفي تمام الساعة التاسعة أطلق مجهول في شارع الناصرة بحيفا رصاصتين على المدعو محمد الصفوري نفذت إحداهما من ظهره، فنقل إلى المستشفى في حالة خطرة ميؤوسًا منه، وقد انتشر البوليس العلني والسري على إثر ذلك في أنحاء المدينة، وفتشت بعض البيوت، لكن الفاعل قد اختفى، ومحمد الصفوري هذا هو أحد الشهود الذين شهدوا ضد جماعة القسّام.

وفي ٣/ ٢/ ١٩٣٧م أطلق مجهول في الساعة التاسعة صباحًا، عدة عيارات نارية في حيفا على المدعو يوسف جليلة من قرية عرابة على مقربة من شارع الناصرة، فأرداه قتيلاً، وهذا القتيل كان يعمل حارسًا لأحد اليهود، وقد شهد في حادثة نهلال ضد المتهمين العرب.

وفي مساء ٢٢/ ٢/ ١٩٣٧م كان نفر البوليس سليم فرج ـ وهو ممن شهدوا في حادثة القنبلة على مستعمرة نهلال ـ خارجًا من المقهى في بلد الشيخ ومعه زميل له، فبادره فدائي بإطلاق أربعة عيارات نارية عليه أردته قتيلاً، وهلعت السلطة، وبادرت في الحال قوة ضخمة من رجال البوليس إلى مكان الحادث، وباشرت التحقيق، وقبضت على ثمانية من أبناء تلك القرية.

ومن أشرف آيات الانتقام الوطني أن يلاقي كل خوان أثيم شهد في قضيتي نهلال والقسام ضد أمته جزاءه، وهكذا ينتقم الفدائيون القساميون لشيخهم، وإذا دل ذلك على شيء إنما يدل على قوة الحركة الوطنية الفلسطينية في ذلك الحين، ويدل على مهارة تلاميذة القسام في الانتقام

من كل جاسوس وشاهد شهد ضدهم، حيث عجزت السلطة عن اكتشاف حادثة واحدة.

وبادر الكثيرون من الشباب إلى الانضمام للمجاهدين.

واختار القسّاميون شمال فلسطين وأقضية: حيفا، وعكا، وصفد، والناصرة قواعد لأعمالهم، واعتصموا بصورة خاصة في الجبال الشاهقة، المعروفة في شمال البلاد.

واستأنفوا شن الهجمات الشديدة على المستعمرات الصهيونية، وقوات الجيش، والشرطة، وقد حدثت معارك خطيرة بين القسّاميين وقوات الشرطة في «دالية الكرمل» و«المغار» و«لوبية» و«صفورية» وغيرها استشهد فيها بعض المجاهدين، وهلك من الأعداء كثيرون، وشكّل القسّاميون (محكمة ثورة) للنظر في المخالفات الدينية والقومية التي يرتكبها بعض العرب. ظل القسّاميون في الميدان خلال الأشهر الستة التي أعقبت استشهاد القسّام.

* ثورة ١٩٣٦م قادتها من القسّاميين:

كان القسّاميون المحركين لثورة أيار ١٩٣٦م، والمخططين لها، وكانوا يتولون في أغلب المناطق قيادتها، فهُم الذين حرّكوا الثورة التي أدّت إلى الإضراب عام ١٩٣٦م، وهم الذين فجّرُوها سنة ١٩٣٧م، فاختاروا لتفجير الثورة بداية قوية، هي اغتيال (لويس أندروز) حاكم منطقة الجليل، الذي كان من أشد المتحمسين لتحقيق رغبات اليهود، وكان يدير وفق الرغبات اليهودية، وفي ١٩٣٧/٩/٢٦م قام الشيخ محمد أبو جعب من قرية (قباطية) بقضاء جنين، والشيخ محمود ديراوي

من قرية «دير أبو ضعيف» بقضاء جنين باغتيال «أندروز» ولم يثبت أن القسّاميين فعلوا ذلك إلا بعد مرور زمن...

وانتشرت مجموعات المجاهدين في البلاد وخصوصًا القسّاميين في الشمال حيث وقع عليهم عبء الثورة خلال الثلاثة أشهر الأُوَل من إعلان مرحلتها الثانية حتى عمّت فلسطين.

وقد عدّ المؤرخون مقتل «أندروز» انطلاق الثورة من جديد، فقال أكرم: «أستطيع أن أقول: يمكن اعتبار مقتل أندروز الانطلاقة لتجديد الثورة».

وقد تولى قيادة الثورة في شمال فلسطين الشيخ القسّامي (أبوإبراهيم الكبير).

وأصدرت القيادة العامة للمجاهدين قرارها وبلاغها رقم (٢): بمهاجمة مركز بوليس بيسان، واحتلال جنين، ومهاجمة مراكز الجيش بنابلس، ومهاجمة الدوريات العسكرية التي تتجوّل بين نابلس وجنين.

- وتنفيذًا لهذه القرارات خرج فصيل عمر بن الخطاب، وقام بمهاجمة مركز «الخنيزر» تابعة لبيان، فاستولى على جميع أسلحته وأمتعته، ثم قامت الفصائل الأربعة: فصيل القسّام، وحمزة بن العباس، وعمرو بن العاص، وأبو بكر، وطوّقوا جنين من جميع جهاتها، ثم هاجموها بالتكبير والتهليل، تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصبّ نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند مما جعلتهم يولون هاربين إلى البيوت ملتجئين، ودخل المجاهدون المدينة، واستولوا على ما فيها من ذخيرة وبنادق.

- وأما فصيل عليّ بن أبي طالب فقد اتجه شطر نابلس، وهاجم

قوات الجيش في مراكزها في الشرق والغرب وأصلاها نارًا حامية.

□ وهاجم فصيل خالد بن الوليد وأبي عبيدة الدوريات العسكرية التي تتجوّل بين نابلس وجنين، فاصطدمت معها في وادي «دعوق» وقد قتل سائق السيارة المصفحة، وهو يهودي، وسائق سيارة ثانية وهو جندي طوّقه الثوّار، وحاول أن يغريهم بالدراهم التي معه ليتركوه، ولكنهم رفضوا وطلبوا إليه تسليم نفسه فأبى، وأشهر مسدسه عازمًا على الغدر بهم، وعندها أطلق الثوّار النار فقتلوه. «قائد منطقة نابلس وجنين «الشيخ عطية»[1].

* للّه درك يا قسّام ودرّ تلاميذك:

لقد وعى الأبطال المغاوير كلام إمامهم القسّام جيداً.

«فما انتهى درس من دروسه في مسجد حيفا الكبير إلا وختمه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

هؤلاء الأبطال هزّوا الأعداء والأصدقاء فها هو هتلر يوجّه رسالة إلى ألمان السوديت عام ١٩٣٦م قائلاً: «اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم، إنهم يكافحون إنجلترا واليهودية العالمية معًا، ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإن الدنيا كلها من ورائكم».

وها هو الجنرال ولسون وكان قائد بريطانيا في بعض معارك فلسطين يشهد: «إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات،

(١) «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين» لشرّاب ص(٣٢٤ ـ ٣٣٣).

لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح»[١] .

﴿ واصل شعب فلسطين جهاده لأعدائه وقد تمثّل ذلك في :

- إشعال الحرائق في مخازن البضائع[٢] ، والسيارات اليهودية والإنجليزية، وإلقاء القنابل على مراكز الشرطة، وإلقاء القنابل على القرى والتجمعات العسكرية اليهودية والإنجليزية التي اغتصبت أرض فلسطين وتعمل على إبادة شعبها.
- تحطيم أنابيت المياه التي تسقي القدس، ونسف الجسور بين المدن المختلفة.
- قطع الأسلاك التليفونية في مدن فلسطين.
- قطع أسلاك الإذاعة في القدس.
- مهاجمة المستعمرات اليهودية وتجمعات قوات الاحتلال الإنجليزي.
- نسف الخط الحديدي بين القدس واللدّ ويافا.

وتحت الضربات الفلسطينية الشجاعة اضطر اليهود إلى هجر مستعمراتهم إلى مدينة القدس؛ وقد نشرت برقيات الصحف في الرابع من يونيو أن مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين إليها من المستعمرات اليهودية، وأصبح أمر إعاشتهم عسيرًا جدًّا.

﴿ للّه درّك يا شعب فلسطين المسلم :

- في الثاني والعشرين من يونيو أعلنت السلطان الإنجليزية عن

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٧٨).

(٢) المصدر السابق ص(١٨٣).

نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العـرب، وقد اشتركت فيها الدبابات والطيارات البريـطانية على خط طوله عشرون كيلو مـترًا، وقد عَزَّزت القوات البريطـانية أثناء المعركة بنجدات من فرقـة السيفورت، مع عدد من الـدبابات والطيارات، وقـد انقسم الثـوار إلى فريقين أحـدهما تَحـصَّن في جهـة الشمـال واحتـشـد القسم الأكـبر في الجنوب، وقـد استـؤنفت المعركـة بشدة في مَـيدان ازداد طوله إلى ثـلاثين كيلو مـترًا، وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية كما هاجموا حاميات القطار»[١] .

◻ نادى الشيخ أمين الحـسيني الملوك والرؤسـاء العرب «إنني أطالب العالم العـربي والإسلامي أن يدرك فلسطين قبل أن تصبح أندلسًـا ثانية. ولكن لا حياة لمن تنادي!!

* معركة بلعا وبطولة المجاهدين:

«في الثالث من سبتمبـر ١٩٣٦م صدرت الأوامر الإنجليزية لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصـحوبة بالدبابات ومحملة بالجند، وطلب منها أن ترابط على الـطريق بين طولكرم ونابـلس، للحـفـاظ على الـقـافلة اليهـودية اليومـية، وعلمت بهـذا قيـادة المجاهدين من مـخبريهـا الذين يعملون داخل صفوف العدو، فـبثت الألغام في طريق السيارات، وحين نزل الجند مفزوعين من الانفجارات، أطلق المجاهدون رصاصهم وابتدأت معـركة كبـرى، وكان المجاهدون يرابطون على جـبلين متقـابلين، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الأشجار وخلف الدبابات»[٢] .

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٨٤).

«ووصلت أثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس، وأصبح عدد الجند يقارب خمسة آلاف جندي، واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان، فحطم صخور الجبال وعصف بثمار الأشجار، وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين، واستمرت هذه المعركة يومًا كاملاً من الصباح حتى غروب الشمس، وأسقطت منها طائرتان للعدو، وأحرقت اثنتان، واستشهد عشرة من المجاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام، وكانت خسائر الإنجليز كبيرة»[1] .

«وإن ننسى، فلن ننسى أحد شهداء هذه المعركة وهو **الشيخ قاسم محمد الشايب** من علماء الإسلام الذي استشهد يوم بلعا، لم يوجد بين ثيابه إلا مصحفًا كريمًا، و١٢ مليمًا لا غير، كان هذا كل رأس ماله»[2] .

«وهذه امرأة قروية تقف إلى جانب جثث الشهداء، فتشير بيدها إلى إحدى الجثث «إنه يشبه ابني»، ثم تترك الجثة لتدخل القرية، وهي تزغرد فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها».

* وهذي معارك أُخر فيها الزاد والعبر:

معارك لا بد من دراستها وتحليل أحداثها، وإبرازها لتكون زادًا للحركة الجهادية ضد أعداء الإسلام مثل:

معركة ترشيحا، ومعركة جيع، ومعركة بيت جبرين «شمال غرب نابلس»، ومعركة الخضر التي جُرح فيها عبد القادر الحسيني واستشهد فيها البطل السوري القائد سعيد العاصي، ومعركة كفر صور التي

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٠٤).

(٢) المصدر السابق ص(٢٠٣).

اشتركت فيها عشر دبابات، غنم الثوار واحدة منها في جبل طولكرم، ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية، فهذا فلسطيني يطلق النار على مساعد مدير الشرطة في حيفا»[١] .

* الانتفاضة الفلسطينية تستأنف جهادها عام ١٩٣٩م:

وواصلت الحركة الجهادية نضالها ضد القراصنة الجدد الذين يتسترون بستار الشرعية الدولية، القراصنة الذين اتخذوا من المنظمات الدولية مطية لتحقيق عدوانهم، وإذا بصديقة العرب تتصدى لهم، تقتل، تعتقل، تعذب، ولهذا فإن المجاهدين قد أحالوا فلسطين جحيمًا تحت أقدام اليهود وحاميتهم بريطانيا، وسقط الشهداء يروون شجرة الحرية بدمائهم ومن هؤلاء **عبد الرحيم الحاج محمد**[٢] ، **ومحمد عيسى فراج، وأخيه عبد الغني من أهالي الخليل**.



---

(١) انظر «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٩ ـ ٢٠٤).

(٢) المصدر السابق ص(٢٥٦ ـ ٢٥٨).

تراجم قسّامية لا ينساها تاريخ الجهاد

الشيخ فرحان السعدي

□ الشيخ فرحان السعدي: من قرية نورس، نشأ ـ رحمه اللَّه ـ نشأة دينية صالحة، فعمل في فلاحة الأرض وزرعها في قريته، وقد عرف فيها وفي القرى المجاورة لها بتقواه وشجاعته وإيمانه، ولما احتل البريطانيون بلادنا، واتضحت له نواياهم العدوانية أخذ يحث الناس على مقاومة سياستهم الصهيونية، ولما نشبت ثورة عام ١٩٢٩م قاد مجموعة من المجاهدين في قضاء جنين، يهاجمون اليهود والإنكليز أينما وجدوهم، ثم انضم إلى فرقة المجاهد عز الدين القسام.

وفي اليوم الخامس عشر من نيسان عام ١٩٣٦م كان للشيخ فرحان شرف إطلاق الرصاصة الأولى لثورة العام المذكور التي فجرت طاقات الشعب الفلسطيني، فكانت بمثابة إشارة البدء لثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م إذ قام هو وجماعته بالهجوم على قافلة يهودية على طريق نابلس ـ طولكرم، ردًّا على عدوان يهودي غادر كان قد وقع على العرب في جوار يافا.

كانت معركة ١٥ نيسان عام ١٩٣٦م إيذانًا ببدء الكفاح المسلح، فتلاحقت الحوادث بسرعة مذهلة، فقام اليهود بقتل بعض العرب في ظاهر يافا، فرد أهل يافا بالهجوم على اليهود يوم ١٩ نيسان ١٩٣٦م ولولا حضور القوات البريطانية لأباد العرب المئات من أعدائهم.

شاركت مدن وقرى وقبائل فلسطينية انتفاضة يافا، فأعلن الإضراب العام في جميع أنحاء البلاد الذي امتد نحو ستة شهور، ثم أخذ العرب

يمارسون نشاطهم المسلح ضد البريطانيين واليهود، فكان الشيخ فرحان السعدي يقود الثورة في منطقة جنين، وقام فيها بأروع أعمال التضحية والشجاعة.

وفي ٢٣/ ١١/ ١٩٣٧م - نشرت الصحف وأذاعت الإذاعات أن القوات البريطانية قبضت على الشيخ فرحان السعدي في قرية المزار (جنين)، وأنها فتشت بيته، فوجدت فيه بندقية وقالت: «إن فرحان السعدي من إخوان عز الدين القسام، وأن المعروف عنه أنه يقود عصابة عربية ثائرة، وقد أحيل لمحاكمته أمام المحكمة العسكرية».

وفي ٢٥/ ١١/ ١٩٣٧م، كان موعد محاكمة الشيخ المجاهد الجليل فرحان السعدي أمام المحكمة العسكرية بحيفا، وقد أصدرت المحكمة المذكورة حكمها بإعدام الشيخ شنقًا بتهمة حيازة بندقية، ولقد قام الوطنيون من أبناء فلسطين، ومنهم الأستاذ أكرم زعيتر بالإبراق إلى ملوك العرب، وإلى أمرائهم وإلى الجمعيات العربية والإسلامية يدعونهم إلى التوسط لدى المراجع البريطانية العليا لإنقاذ حياة هذا الشيخ الجليل الصائم الورع التقي النقي الذي جاوز السبعين من عمره.

وفي ٢٧/ ١١/ ١٩٣٧م، أعدم الشيخ فرحان السعدي شنقًا، وقال فيه أكرم زعيتر: «إنني لا أعلم أن استشهاد بطل هزّ الأمة وأثار مشاعرها بعد استشهاد القسام كما هزّها وأثار مشاعرها استشهاد فرحان السعدي، وسيذكر أبناؤنا وأحفادنا أن بريطانيا لم تر من الإنسانية أن ترجئ إعدام شيخ جليل صائم إلى ما بعد رمضان».

ولم يفت الشعر الوطني أن يعبر عن هذه الواقعة أيضًا فهذا الشاعر أبو سلمى يردد:

قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد
قوموا انظروا فرحان فوق جبينه أثر السجود
يمشي إلى حبل الشهادة صائمًا مشي الأُسود
سبعون عامًا في سبيل اللّه والحق التليد
خجل الشباب من المشيب بل السنون من العقود

البطل محمد صالح الحمد

□ محمد صالح الحمد (أبو خالد): ولد في سيلة الظهر عام ١٩١٣م، ولما اشتد ساعده نزل حيفا التماسًا للرزق، وفيها التحق بجماعة الشيخ عز الدين القسام، وفي ثورة عام ١٩٣٦م، أخذ يهاجم الأعداء في جبال الجليل وحيفا، ثم نزل جبال نابلس، وفيها أخذ مع إخوانه المجاهدين يخوض المعارك ضد القوافل اليهودية والقوات البريطانية التي تحميها، ومن أشهرالمعارك التي خاضها معركة (سيريس ـ جبع) التي امتدت ست ساعات، اشتركت فيها الطائرات البريطانية، وقد منيت القوات البريطانية بخسائر فادحة، وبينما كان ـ رحمه اللّه ـ هو وزملاؤه من قواد الثورة الفلسطينية مجتمعين في قرية (دير غسانة من أعمال رام اللّه) طوقتهم قوة بريطانية كبيرة وقد تمكن أبوخالد من الإفلات والوصول إلى قرية (سرطة) المجاورة، وفيها التقى بفصيلة أخرى من الجند البريطاني، فنشبت معركة بين الطرفين استشهد فيها أبو خالد، وكان ذلك في ١٨/ ٥/ ١٩٣٨م[١] .

(١) «بلادنا فلسطين» الجزء الثالث القسم الثاني ص(٩١).

الشيخ عطية أحمد عوض

عطية أحمد عوض: من حيفا، كان من جملة خمسة عشر شهيدًا استشهدوا في معركة اليامون وجبل إسكندر، التي وقعت بين العرب والبريطانيين في كانون الثاني من عام ١٩٣٨م وبدأت من اليامون، ثم امتدت حتى جبل إسكندر، واستعمل فيها الأعداء الطيارات والدبابات.

والشيخ عطية قائد منطقة جنين الغربية من تلاميذ القسام المشهورين، وبعد استشهاده حل محله في قيادة المعركة البطل يوسف أبودرة، وكانت خسائر العدو كبيرة.

الشيخ يوسف سعيد أبو درة

من قرية سيلة الحارثية، ولد عام ١٩٠٠م، وبعد أن تلقى علومه الأولية في مدرستها اشتغل بالزراعة، لكنه اضطر سعيًا وراء رزقه لمغادرة بلده، ونزل حيفا، وعمل في السكة الحديدية فيها، وتعرف أبو درة في حيفا على الشيخ عز الدين القسام، واشترك معه في ثورة ١٩٣٥م.

ولما قامت ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦م اشترك أبو درة تحت قيادة الشيخ عطية أحمد عوض، وأخذوا يغيرون على القلاع اليهودية المجاورة لقضاء جنين، فيقتلون حراسها، وينسفون الجسور، ويقطعون أسلاك التلفون، ويحاربون النجدات البريطانية التي تأتي لمساعدة اليهود، وعندما استشهد الشيخ عطية في معركة اليامون حل المرحوم أبو درة محله في قيادة المعركة التي انتصر فيها الثوار انتصاراً عظيمًا.

لمع اسم (أبو درة) في خريف عام ١٩٣٧م حيث تمكن من السيطرة

على قضاء جنين، وما يجاوره من قضاء الناصرة، وعلى قرى جبل الكرمل.

ومن أعماله ومعاركه معركة (أم الزينات) التي كان عدد المجاهدين فيها (١٢٥) مجاهدًا، يقابلهم الآلاف من الجنود البريطانيين، وقد أسفرت المعركة عن إسقاط طائرتين، ومقتل سبعة ضباط بينهم ضابط كبير، و(١٢٥) جنديًّا.

ومن بطولاته ـ رحمه اللَّه ـ مهاجمة سجن (عتليت) المحصن، فاقتحمه وحرر سجناءه، وأباد حراسه اليهود.

وقد طوق الجند البريطاني أبا درة أكثر من مرة، وكان يتمكن من الإفلات منهم بأعجوبة.

وأبو درة هو الذي أرسل أحد جنوده فقتل (موفات) حاكم جنين وهو في مكتبه.

كان المدعو «موفات» حاكم جنين قد أحاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مَقرّه بعد أن تلقّى إنذارًا من الثوار كان هذا نصه: «من القائد الصغير يوسف أبو درة إلى مستر موفات»:

«إذا لم تحسن سلوكك مع الأهالي خلال ثمانية أيام.. فسأقتلك»، ولكن مستر موفات ركب رأسه، واستمر شرًّا على عرب فلسطين، بينما نقل سكنه إلى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين، واشتدت حراسته بالمصفحات، ولم يبق أي احتمال لإمكان الاعتداء عليه، ولكن القائد الصغير أبو درّة كان صادقًا في وعيده، فبعد ثمانية أيام تمامًا أرسل إليه اثنين من المجاهدين تسلق أحدهما أنابيب المياه حتى وصل الدور الذي به مكتب موفات؛ فوجّه إنذارًا إلى سكرتيره العربي رأفت الدرهللي،

واجتاز غرفة الحاكم البريطاني وأفرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون أن يحفل أو يخاف تاركًا المكان بينما أخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتغطية الانسحاب.

ولما انتهت ثورة البلاد في أيلول نهاية عام ١٩٣٩م، بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، انسحب ـ رحمه اللَّه ـ إلى دمشق، ثم غادرها إلى عمان، وفيها ألقى القبض عليه الجنرال كلوب، وسلمه لحكام بريطانيا الغدّارين في فلسطين الذين أمروا بمحاكمته أمام محكمة عسكرية في القدس، فصدر الحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم في (٣٠/ ٩/ ١٩٣٩م).

الشيخ نمر السعدي

◘ وُلِد في قرية ـ صفورية ـ عام ١٩٠٥م... وكان من المجاهدين المخلصين الذين خرجوا مع الشيخ القسّام، وشارك في معركة (يعبد)، وأصيب بثلاث رصاصات، استقرّت رصاصتان منها في قلبه، وأُسِر فوضع في المستشفى حتى ٢٧/ ١٢/ ١٩٣٥م، فنُقِل إلى مستشفى سجن القدس المركزي، ومنه إلى سجن نابلس، فسجن عكا ليكون على مقربة من الناصرة، حيث كان يجري التحقيق مع القسّاميين الأسرى... وحُكِم عليه بالسجن سنتين، وجدّدها حاكم لواء الجليل سنة ثالثة، وتوفي بآلام الرصاصات التي استقرت في قلبه سنة ١٩٤٨م[1] .



---

(١) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شُرّاب ص(٣٣٨) ـ دار القلم.

عبد اللَّه الأصبح

□ عبد اللَّـه الأصبح: من قرية الجاعـونة ـ صفد، استـهل ـ رحمه اللَّه ـ جهـاده في الثورة السورية، فـهرع إلى جبل العرب، واشـترك في معاركها إلى جـانب القائد الشهيد سعيد العـاص، ولما عاد عبد اللَّه إلى فلسطين التحق بحركـة الشيخ محمد عـز الدين القسام، فتولى مهـاجمة القوافل البريطانية واليهودية، ونسف الجسور وحرق مزارع الأعداء.

وكان أحد قـادة ثورة ١٩٣٦م البارزين في منطقة الجليل، فـخاض عشـرات المعارك، وفي ٢٧ نيسـان من عام ١٩٣٨م اشتـبك الأصبح مع البريطانيين في معركة قرب (خربة رخـصون) بين (سحماتا) و(سَبَلان)، فسقط شهيدًا ودفن في قرية سعسع.

حسين العلي الزبيدي

□ من عرب الزبيـدات ـ بيسان، عندمـا نزل الشيخ محـمد الحنفي أحمد ـ رفيق ـ الشهيد عز الدين القسام في هجرته من جبلة إلى فلسطين ـ بيسان ومنطقـتها لتأسيس الجـماعات المسلحة في القـضاء، والتحق به الكثيرون ـ كان من بينهم المجاهد حسين العلي من عرب الزبيدات، ومن أعمال هؤلاء المجاهدين في بيسان ونواحيها:

١ ـ هجـومهم بقـيادة حـسين العلي على دوائر الحكومـة في بلدة بيسان في ٢٢/٦/١٩٣٦م وإحراقها.

٢ ـ وفي ٢٣/٨/١٩٣٦م التقت دورية عسكرية إنكليزية بين (دنة) (وكوكب الهواء) مع المجاهدين بقيادة حسين العلي المتقدم ذكره، ودارت بينهـما معـركة اسـتمرت نحـو ثلاث ساعـات، اشترك فـيهـا عدد من

المدرعات، واستشهد في أثنائها حسين العلي بعد جهاد دام مدة تزيد على سنتين في بلاد بيسان، أنزل فيها الخسائر الكبيرة بالعدو.

أبو إبراهيم الصغير

هو توفيق إبراهيم المعروف بـ (إبراهيم الصغير) من قرية (إندور ـ الناصرة) اشترك ـ رحمه اللَّه ـ في معركة أحراش يعبد مع المغفور له الشيخ عز الدين القسام، وكان أحد قادة ثورة ١٩٣٦م، وقد هاجم مقر حاكم طبرية الإنكليزي فاستولى على ما فيه من ملفات وغيرها.

وفي أراضي عرب الصبيح قام اليهود في اليوم الثامن من حيزران ١٩٤٨م بمهاجمة مضارب العشيرة بقوة لا يقل عددها عن ستمائة مقاتل، وتمكنوا من الوصول إلى منزل الشيخ علي النمر، وهو من مشايخ الصبيح المعروفين، وقائد المجاهدين من أبناء تلك العشيرة، فقامت بين الطرفين معركة حامية، جرح فيها الشيخ علي النمر، واستشهد أربعة من رجال عشيرته، ونسف اليهود بيت الشيخ، وقتلوا شقيقته وطفلاً كان إلى جانبها، ورأى الناس بعد انتهاء المعركة هذا الطفل مشطوراً إلى شطرين، شطره اليهود ببلطة حادة، قام اليهود بهذا الهجوم المفاجيء عندما كان المجاهدون منشغلين في مواضع أخرى، ولم يكن هناك في مضارب العشيرة سوى ثلاثين مقاتلاً، فلم يك بد من التراجع.

وتقدم اليهود حتى (عين ماهل)، وهناك التقى اليهود والمجاهدون من أبناء (الصبيح) و(الناصرة) و(كفر كنا) و(عين ماه) ووصل في تلك اللحظة الشيخ توفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) ومساعده محمد العورتاني مع مناضلين آخرين لنجدة إخوانهم من المجاهدين.

أخذ العرب بالهجوم على عدوهم الذي كان أكثر منهم عدداً وعدة واضطروه للانسحاب، وبعد قليل اضطر اليهود للانسحاب من عين ماهل، وفي منازل الصبيح اشتبك الفريقان بالسلاح الأبيض من دار إلى دار، وأخيراً تمكن العرب من استعادة الأراضي والمنازل التي احتلها اليهود، وخسر الأعداء ثمانية وعشرين قتيلاً، وظل العرب مسيطرين في ذلك القطاع إلى أن انسحب جيش الإنقاذ، وسقطت الناصرة بيد اليهود.

أما صاحبنا الشيخ أبو إبراهيم الصغير فقد نزل بعد النكبة دمشق وتوفي فيها عام ١٩٦٦م.

أحمد عبد الرحمن جابر

❑ أحمد عبد الرحمن جابر: من قرية عنبتا، خرج هذا الشاب وهو من مجاهدي صفد على رأس فريق من إخوانه لملاقاة الإنجليز، فكان له ما أراد، وظل يقاتل حتى نفذت الذخيرة، فأسره الجند، وحكم عليه القضاة بالسجن عشرين عامًا، وبعد أن قضى نصف المدة في سجنه شمله عفو أراد به المنتدبون تخدير الأعصاب، وبدل أن يعود أحمد جابر إلى بيته عاد إلى ساحة الجهاد مرة أخرى، وسقط صريعًا في معارك الشمال سنة ١٩٣٩م.

محمود خضر (أبو خضر)

❑ من قرية زرعين سكن حيفا، وتتلمذ على يد الشيخ القسام، وأبلى في الثورة بلاءً حسنًا، قاد معركة في مكان يدعى (جرن حلاوة) على بعد عدة كيلو مترات من طبرية، شملت الجبال الممتدة من طبرية إلى صفد، وبدأ الاشتباك عند وصوله إلى قرية (فراضية) بين عكا

وصفد، وأقبلت النجدات الإنكليزية بالآلاف وثماني طائرات، واستبسل المجاهدون، وأسفرت المعركة عن سقوط (٣٥) قتيلاً وجريحًا من الجنود الإنكليز، واستشهد في هذه المعركة القائد المغوار أبو خضر وثلاثة من إخوانه، وجرح أربعة آخرون.

أبو إبراهيم الكبير

◻ خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير) - من قرية المزرعة الشرقية - رام اللَّه، كان له دكان لبيع الصوف والأكياس، وهو من القساميين البارزين، وصف بالحصافة والأناة وأطلق عليه اسم أبو إبراهيم الكبير؛ لأن ثمَّ أخًا آخر اسمه: أبو إبراهيم، هو توفيق إبراهيم، وقد أطلق عليه لقب أبو إبراهيم الصغير، وهو أحد قادة الثورة البارزين أيضًا وقد مرَّ ذكره.

وأبو إبراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) قاد هو وإخوانه معركة كبيرة في جبل الجرمق في موقع بين قرية بيت جن ومارون (صفد) في يوم الجمعة ٢٣ أيلول ١٩٣٨م حيث هاجمتهم طائرة بقنابلها ورشاشاتها، ثم قدِمت قوة لمساعدة الطائرات، فالتقت بالنجدات المحمدية، ووقع الجيش بين أيدي قوات أبي إبراهيم الكبير، وأيدي النجدات المحمدية، وأخذت النجدات تصليهم ببنادقها، فلم يتمكنوا من الوصول إلى المكان المرابط فيه أبو إبراهيم، وسقط من الجنود (٢٥) جنديًّا إنكليزيًّا بين قتيل وجريح.

وأبو إبراهيم الكبير كان قائد المنطقة الشمالية، ولقد رحل إلى الأردن مع الراحلين، وتوفي فيها عام ١٩٧٩م.

جهاد شعب فلسطين بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م

خاض المجاهدون الفلسطينيون بعد صدور قرار التقسيم معارك عديدة ضد عدوهم منها:

معركة الصبيح[١] نسبة إلى أبناء عشيرة الصبيح، الثالث من يناير - كانون الأول ١٩٤٨م.

معركة جبل ظهر الحجة[٢].

معركة قرية كفر كُنا[٣].

معركة عين ماهل[٤] ٢٣ يناير - كانون الأول - ١٩٤٨م.

معركة تل الماصيون[٥] (منطقة رام اللَّه) ومن بين الذين ساهموا في المعركة د. خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام اللَّه، ولبيب حشمت رئيس الكشاف العربي، والشيخ عبد الحليم عبد الصمد (٧٠ سنة).

معركة الدهيشة[٦] ٢٧ مارس - آذار - ١٩٤٨م.

وعندها تصدى مائتا مجاهد من أبناء فلسطين المنخرطين في فرقة «الجهاد المقدس» لقافلة يهودية، قوامها مائتان وخمسون رجلاً من رجال الهاجانا اليهودية، كانوا يركبون أربعًا وخمسين سيارة محروسة بأربع

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٢٥).
(٢) المصدر السابق ص(٣٢٦).
(٣) المصدر السابق ص(٣٢٦).
(٤) المصدر السابق ص(٣٢٦؛ النكبة والفردوس المفقود، عارف العارف.
(٥) المصدر السابق ص(٣٢٧).
(٦) المصدر السابق ص(٣٢٨، ٣٢٩).

مصفحات عسكرية، تعاونها أربع من الطائرات اليهودية، وحوصر اليهود، وأسرع الجيش البريطاني لنجدتهم، لكنه لم يستطع فك الحصار المضروب على اليهود، وهرع في نفس الوقت أهالي فلسطين إلى مكان المعركة، وهددوا بنسف قوات الجيش البريطاني الذي لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة أمام تهديد المجاهدين، واستنجد اليهود بالوكالة اليهودية التي استنجدت بدورها بالحكومة البريطانية التي استنجدت بكبار العرب طالبة فك الحصار، وتحت إصرار المجاهدين وبعد حصار دام ستًّا وثلاثين ساعة ألقى اليهود سلاحهم متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثماني سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين، وأربعين بندقية من طراز برن، ومائة قنبلة إنجليزية وألمانية وقنابل ومسدسات كثيرة، وطن ونصف الطن من ملح البارود والمتفجرات، ومقادير كبيرة من الأمتعة والذخائر.

◻ **معارك حيّ المونتفيوري ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٨م.**

بيت سوريك[١] ومن أبطالها إبراهيم أبو دية (القائد) وعبد القادر الحسيني، وعزمي الجاعوني، وفوزي القطب، وكامل عريقات.

◻ **معارك قرية بيت صفافا.**

◻ **معارك القسطل**[٢] إبريل (نيسان) ١٩٤٨م.

ومن أبطالها صبحي أبو جبارة، وبعض شباب الجهاد المقدس يقودهم كامل عريقات، وعبد اللَّه العمري، ومعه أنور نسيبة المحامي

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٤١).

(٢) المصدر السابق ص(٣٤٧ ـ ٣٥٢).

(من بيت صفافا) وحافظ بركات من القدس، وخليل عنون من عين كارم، وقد حاول المجاهدون استرداد بلدة القسطل التي كانت قد وقعت في يد اليهود، وسقط شهداء، وأوشكت الذخيرة على النفاذ، وذهب الأستاذ عارف العارف، يستنهض همة الجيش العربي الأردني المعسكر في رام اللّه على بعد قريب من ميدان المعركة لكي يساعدهم ويهاجم بعض المعسكرات اليهودية؛ ليخفف الضغط على المناضلين، ورفض القائد العام للجيش الأردني جلوب باشا البريطاني الطلب الفلسطيني، وحذا حذوه أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع الأردني، والعجيب أن هذا الجيش العربي الذي رفض مساندة الفلسطينيين لم يجد مانعًا من أن يتدخل لصالح اليهود، عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود في حيفا في الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧م، وكان النصر في جانب الفلسطينيين فخفف هذا الجيش الأردني وحال دون الفلسطينيين وإتمام نصرهم، وأنقذ مئات اليهود كان موتهم حتميًّا في تلك المعركة. والجدير بالذكر إن قلّة السلاح في أيدي المجاهدين، دفعت بقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني، أن يلجأ إلى اللجنة العسكرية للجماعة العربية (ومقرها دمشق) طالبًا تزويده بالسلاح الكافي، ولكنها خذلته، وأثناء ذلك وصلت الأنباء بسقوط القسطل بيد اليهود بدعم من الإنجليز وأدرك عبد القادر أن المسئولين ليسوا في مستوى الأحداث، أو أنهم ضليعون في ضياع فلسطين.

معركة حي الشيخ جرّاح بالقدس الثالث عشر من إبريل ـ نيسان ـ ١٩٤٨م[1].

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٢٣ ـ ٣٢٤).

بينما قوة يهودية مكوّنة من تسع سيارات كبيرة، اثنتان منهما مصفحتان في حماية رجال الهاجانا المسلحين كانت في طريقها إلى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا؛ اعترضها أربع وعشرون مقاتلاً مشاة مسلحين من فرقة الجهاد المقدس، التي فقدت قائدها عبد القادر الحسيني.

وفتكت ألغام المجاهدين بسيارتين، ولم تستطع القافلة المدرعة أن تصمد أمام المجاهدين المشاة المسلحين تسليحًا خفيفًا، واستنجدت على الفور بالجيش البريطاني الذي تجاوب معهم ضد المجاهدين ودوت صيحات التكبير، وهرع الفلسطينيون لنجدة إخوانهم، وصمدوا، ووسط العزم النافذ للمجاهدين عرض اليهود الاستسلام وإلقاء السلاح، وقتل اليهود غدرًا المندوب العربي المفوض لإبلاغهم الشروط (رغم أن الرسل لا تقتل ولكنهم اليهود الذين جُبلوا على الغدر ونقض العهود).

ولقد أسفرت المعركة عن خسائر كبيرة في جانب العدو رغم تفوقه في العُدَّة والعتاد، وكانت خسائر المجاهدين يومها أربعة عشر شهيدًا، وجرح قائد المجموعة عادل النجار.

هذه المعركة تؤكد على الروح المعنوية العالية للفلسطينيين في تصديهم لليهود الذين تدعمهم بريطانيا، رغم قلة السلاح والعدة، ورغم الموقف المخزي الذي وقفته الأنظمة العربية بعد قرار التقسيم، وتبين أيضًا كيف أمكن للفلسطينيين المشاة أن يحرزوا نصرًا ضد سيارات ومدرعات العدو الذي لم يجرؤ أن يواجههم في الميدان وجهًا لوجه، وتبين أيضًا أن المقاومة لم تلن رغم استشهاد قائدها عبد القادر الحسيني.

وتبين أيضًا أن مذبحة دير ياسين التي ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين لم تبث الرعب والخوف في نفوس الفلسطينيين كما توقع العدو.

* **معارك يافا:**

وكان اليهود قد أنشأوا فيها حيّا سموه تل أبيب، لم يزد فيه عدد المنازل عن مائة وخمسين منزلاً في عام ١٩١٤م، وبقى صغيراً هزيلاً حتى اغتصب الإنجليز فلسطين، فنما وازدهر، وأصبحت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية.

هذه المدينة قُدّر لها أن تقاوم الإنجليز واليهود الذين حاولوا اغتصابها والسيطرة عليها بعد قرار التقسيم الجائر الذي أصدرته هيئة الأمم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، في معارك جهادية، استمرت من الرابع من ديسمبر ١٩٤٧م وحتى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨م، وأثناءها وقع عبء الدفاع عن هذه المدينة على السكان (٦٠ ألفًا تقريبًا بين رجل وامرأة وطفل) وبعض المقاتلين الفلسطينيين وخلالها تلمح:

دقة التنظيم فقد ألف المجاهدون الفلسطينيون سبع لجان:

لجنة اقتصادية: تشرف على أسواق المدينة، وتوفر الأقوات، وتمنع الاستغلال والتلاعب.

لجنة دفاعية: تُحصّنُ خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح وتصفح السيارات للقتال.

ثلاث لجان صحية: الصحة والقرى، والرخص، وكلها تخدم خطوط القتال، وتنظم الاتصالات بالقرى المحيطة، وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال.

لجنة السلاح والألغام: وهي التي تُصنّع الألغام، وتصلح السلاح وتصفح السيارات للقتال.

وجندت اللجنة، ٥٤٠ مقاتلاً منهم ٣٧٥ في مراكز ثابتة، ١٦٥ قواتًا متحركة، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة، وكان قائد القطاع الأوسط وقائد اللد والرملة الشيخ حسن سلامة.

على أن هذا الضعف في التسليح لم يثن عرب يافا من التفكير في سد النقص لديهم بإمكاناتهم المتاحة، فكانوا يصنعون القنابل من أوعية ومواد كانت تستعمل لإطفاء الحريق، ووضعوا في كل وعاء مقدارًا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلو جرامًا من المواد المتفجرة، وكانت أنبوبة البوتاجاز تنشر في شكل مدفع يطلق أنبوبة إطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات، ولمّا كانت المواد الخام غير متوفرة فقد اضطر أهل يافا إلى طلب النجدة من اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بدمشق، ولكن ما من مجيب!!

ووقع شعب يافا بين نار اليهود يصلاها، وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف، وضعف التسليح، وعزلت يافا عن العالم، وأبرق أهلها إلى الملوك والعرب والرؤساء، وتلقوا جوابًا واحدًا من رئيس لبنان، ستبحر إلى يافا أربع بواخر لنقل المرضى والجرحى؛ ولم تصل البواخر!!

وتوالت المحنة على المدينة، واستسلم من بقي في الرابع عشر من مايو (آيار) ودخلت جيوش اليهود مدينة يافا وأعملوا فيها يد السلب والنهب والقتل والفتك، وكان شهداء يافا يناسب جهادهم البطولي: ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين المسلمين (أتراك ويوغسلاف)[1].

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٥٨ ـ ٣٧٢).

* **معارك حيفا**[١] :

كانت هذه المدينة مستهدفة من اليهود، وكانت بريطانيا حريصة على معاونة اليهود على اغتصابها، وقد قُدر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة آلاف جندي مدرب، بينهم عديد من الضباط الروس، الجميع مزودون بالسلاح الأمريكي والمصفحات الروسية؛ بينما كان أهل حيفا يعانون نقصًا في العتاد.

وطوق اليهود يعاونهم الإنجليز ـ حيفا من جهاتها الأربع تمهيدًا للسيطرة عليها، ورغم ذلك فقد صمم شعب حيفا على القتال بمفرده بعد أن خذلتهم اللجنة العسكرية للجامعة العربية. وقاتلوا قتال الأبطال من شارع إلى شارع، وحينما فرض عليهم الاستسلام رفضوا وصمدوا وقاتلوا قتال الأبطال خمسة أشهر كاملة (من ٢ ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٤٧م إلى ٢٢ إبريل (نيسان) ١٩٤٨م) نسفوا خلالها معامل التكرير فحرموا اليهود من النفط والبنزين، ودام القتال مَرَّة بينهم وبين اليهود ستًّا وسبعين ساعة دون انقطاع.

وكان الإنجليز شرًّا على شعب حيفا، فبينما كان محمد فخر الدين أورخان المجاهد التركي الذي تطوع للجهاد مع إخوانه الفلسطينيين قادمًا من الأناضول، يقود فريقًا من المجاهدين، مُعدًّا كمية من المتفجرات، إذ أطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد في أول مارس (آذار).

ولن ينسى التاريخ للإنجليز رفضهم لطلب الفلسطينيين وهو طلب كانت تحتمه الإنسانية وتفرض الاستجابة[٢] له، وهو نقل الجرحى العرب

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٧٢ ـ ٣٧٩).

(٢) المصدر السابق ص(٣٧٦ ـ ٣٧٧).

إلى المستشفيات، وكانوا عدداً كبيراً، ولن ينسى لهم أيضًا أنهم عاونوا اليهود معاونة فعالة في معاركهم ضد الفلسطينيين، كما أنهم منعوا وصول الإمدادات إلى ميدان المعركة؛ بل إنهم وقفوا في وجه المناضلين العرب، يصادرون ما معهم من أسلحة، ويتركونهم طعمًا سهلاً لجحافل اليهود وسلاحهم وانسحب الإنجليز من حيفا في ٢٣ من إبريل (نيسان) ١٩٤٨م بعد أن مكَّنوا اليهود منها.

واستنجد الفلسطينيون بقناصل العرب، وبقيادة الجيش الأردني، التي كانت ترابط على بعد أميال منهم (٧٠٠ جندي) ووقف الجميع يتفرجون على مجزرة أريق فيها الدم الفلسطيني مدراراً.

والسبب في ذلك أن قيادة الجيش الأردني كانت في يد الإنجليز الذين عاهدوا أوربا على التمكين لليهود في فلسطين، وحينما تحرك القائد الأردني لمساندة إخوانه الفلسطينيين على أرض يافا أنذره القائد البريطاني بإطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك، والأنكى من ذلك أن مساعد الحاكم الإنجليزي للمنطقة أشار على أهل حيفا الفلسطينيين، «إذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة، عليكم الاتصال باليهود حالاً والاتفاق معهم، وأنه لن يسمح بدخول قوات عربية لمساعدة أهل حيفا».

ودخل اليهود حيفا على جثث الشهداء وجريا على عادتهم، اعْمَلُوا في السكان العرب سلاح الفتك والإبادة فقتلوا، وشرّدوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع وألقوا بالقتلى أمام النسوة والأطفال، وأدخلوا الدواب، إلى مساجد المسلمين، يتخذونها كإصطبلات وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين، ومنذ ٢٢ إبريل (نيسان)

عام ١٩٤٨م واليهود يمسكون بثغر حيفا التاريخي.

الشهيد عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل

□يقول الشيخ الدكتور مصطفى السباعي في كتابه عن «جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين» ص(٣٤٨ ـ ٣٤٩):

«إن جيش الإنقاذ الذي ألّفته الجامعة العربية كانت مهمته تحطيم «منظمة الجهاد المقدس» التي انخرط فيها شباب الفلسطينيين، وأبدوا من البطولات ما سجّله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار، وكان قائدها الشهيد البطل عبد القادر الحسيني يحاول أن يحصل من الجامعة علي قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه حتى أنه حين جاء إلى معسكر «قطنا» ليأخذ معه الفوج الأول من إخواننا، قال: إنني طلبت منهم مدفعًا واحدًا فرفضوا وأعطوني مئة بندقية لا تصلح إلا لوقود النار، وهذه هي معي في السيارة، ونظرنا فإذا ببنادق من العهد الفيصلي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأكثرها معصّب بعصائب من الحديد، ثم تابع الشهيد قوله: إنني ذاهب إلى فلسطين لاسترداد القسطل وسأموت، ولن أترك بلادي فلسطين طعمة للأعداء»، ووفى البطل بما قال».

□يقول الدكتور عدنان النحوي: «لقد جُرح قائد الجهاد عبد القادر الحسيني في معركة «الخضر» التي قُتِل فيها سعيد العاص ـ رحمه اللَّه وأدخله جنته شهيدًا ـ فاعتقله الإنجليز ووضعوه في مستشفى الحكومة بالقدس. ولكن إخوانه المجاهدين تمكنوا من إنقاذه من المستشفى بعملية بطولية، ونقلوه إلى دمشق»[1].

---

(١)«على أبواب القدس» للدكتور عدنان النحوي ص(١٠٨) ـ دار النحوي للنشر والتوزيع.

وبعد قرار التقسيم أُعلن الجهاد في فلسطين.

□ يقول الدكتور النحوي: «ثم أعلن الجهاد في فلسطين، الجهاد الكبير الذي مضى به الناس يبذلون مالهم وجهدهم، ومضى به عبدالقادر الحسيني امتداداً للجهاد المقدس الذي انطلق مع سنة ١٩٣٦م.

وقام هذا الجهاد بأعمال رائعة وبطولات نادرة، كان من أهم أعماله: نسف مبنى الوكالة اليهودية في القدس في ١١ آذار «مارس» سنة ١٩٤٨م، ثم نسف شارع بن يهودا في القدس نسفًا أحدث تدميرًا هائلاً، وحصار الأحياء اليهودية، وقطع الموارد عنها، حتى خرجت مظاهرات في القدس من اليهود ترفع الرايات البيضاء وتطلب الاستسلام للعرب وضجّ العالم كله، . . .

ولقد حدث هجوم إثر هجوم من اليهود على الأحياء العربية، وهجوم على حي القطمون، وكانت أعداد قليلة من المجاهدين تصد هجومًا من آلاف من اليهود، وتُوقع بهم خسائر كبيرة، واستمر الجهاد المقدس وهو يبحث عن مدد من المال ومدد من المدافع والذخيرة فما تيسّر له ذلك. وكان ينتقل من نصر إلى نصر في بطولات ذكية رائعة. . .

وسقطت القسطل بجوار القدس، وهي موقع عسكري هام.

وكان استردادها يتطلب مدافع وسلاحًا غير متوافر لدى الجهاد المقدس، فتوجه عبد القادر الحسيني إلى دمشق واستجدى اللجنة العسكرية، واستجدى الجميع بصورة مؤلمة مفزعة. ولما يئس عاد إلى القدس، وخاض المعركة بما يملك من سلاح، فخرّ صريعًا في القسطل في ٨ نيسان (إبريل) ١٩٤٨م. و كان قتله ضربة عنيفة للجهاد في فلسطين وحسرة للقلوب المؤمنة. وشُيّعت جنازته إلى المسجد الأقصى

ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة، وجعله شهيدًا في جنته وأجزل له الأجر والثواب ـ»[١] .

قال النحوي في رثائه:

سألتهم مَدْفَعًا يا ليتهم دفعوا ... عنك الردى وأجابوا غير ما طلبوا
فما همُ غير آلاتٍ تُحرّكها ... سياسة كيف ما مالوا أو انقلبوا
حلفتَ باللَّه أن تغدو بكوكبةٍ ... في ربوةِ القسْطل الهوجاءِ تحتطِبُ
والليلُ حولَكَ جَيّاش تخوضُ به ... كأنما أنت فيه جَحْفَلٌ عجَبُ
دخلتَ حاميةً فيها فما عرفوا ... غيرَ الرَّصَاصِ طعامًا منك أو شَرِبُوا
لم يبقَ عندك مَذْخورٌ فتقذِفَه ... إلا فتًى صابرٌ للَّه محتَسِبُ
وانهالتِ النارُ فاستقبلت حَرَّتَها ... وأنت في القسطلِ الحمراءِ تحتطبُ
حتى قضيْتَ وفي جَنْبَيْكَ أوْسِمَةٌ ... حمراءُ لا ماسَةٌ فيها ولا ذهبُ
فخرٌ! فما جاد في تعليقها أحدٌ ... يلهو ولا هي نيشانٌ ولا لَقَبٌ

وقال فيه أيضًا:

قالوا: الرصاصُ يُحَيّي بشْر عودته ... وهذه القدسُ خَفَّتْ نحوه تَثِبُ
على الأكُفِّ مُسجًّى في مهابتِه ... وحولَه ثُلةٌ أو فتيةٌ نُجُبُ
لم يلمسوا فيه إلا أنه بَطَلٌ ... حي يَقُودُ ولا يُثْنَى له أَرَبُ
فليس من عجبٍ أن قال قائلُهم ... مواكبُ النصر فيها المنظَرُ العَجَبُ
لا يبلُغُ الفكرُ ما جاز المماتُ به ... ولا يراه خيالٌ وهو يحتجبُ[٢]

---

(١) «على أبواب القدس» للدكتور عدنان النحوي ص(١٢٠ ـ ١٢١)

(٢) من قصيدة «الشهيد عبد القادر الحسيني في القسطل» من «ديوان الأرض المباركة» للنحوي ص(٩٣ ـ ٩٧).

* **معركة بني نعيم :**

«تعد معركة بني نعيم من أعظم المعارك التي خاضها الثوار على أرض فلسطين، ففي ١٤ تشرين الأول ١٩٣٨م، انطلق القائد الفلسطيني المعروف عبد القادر الحسيني وأخوه عبد الحليم الجيلاني إلى قرية بني نعيم لإصلاح ذات البين ونبذ الخلافات بين أهالي الخليل وأهالي قرية (دورا).

إلا أن عينًا خبيثة خائنة كانت ترقبهم إلى أن نزلوا بديار بني نعيم، فانطلقت مسرعة لتخبر مركز البوليس الإنجليزي الذي سارع بإرسال قوة تعدادها خمسمائة جندي، وست عشرة طائرة حربية، مطوقة في طريقها قرية يطا، زاحفة بعد ذلك تجاه قرية بني نعيم، لتبدأ المعركة الكبرى بين قوات المجاهدين وبينهم من الصباح وحتى المساء، مسفرة عن قتل خمسين جنديًّا بريطانيًّا، وعطب خمسة سيارات لهم، واستشهاد ثمانين مجاهدًا من جماعة الحسيني على رأسهم المهندس علي الحسيني، وشهيد واحد من جماعة الجيلاني هو الشيخ عيسى أبو قدوم التعمري، رئيس فصيل عرب التعامرة، بالإضافة إلى وقوع ستة مجاهدين بأيدي العدو أسرى.

وممن يذكر جهاده في هذه المعركة الشيخ الزير وجماعته الذين سقط منهم شهداء كثيرون، والشيخ سليم الوحش وجماعته، وإبراهيم جابر (أبو الوليد) وجماعته من أبناء (بيت عطاب)، وكثير من أبناء عين كارم وصور باهر إلى غير ذلك من القرى المقدسية، بالإضافة إلى العبيديين بقيادة موسى علي جابر الردايدة.

وقد أكد الجيلاني في مقابلة أجريتها معه في ١٨/ ١١/ ٨١م إسهام

أبناء العبيدية، وأثنى عليهم كثيرًا.

ومن المشاهد التي تصف دور موسى العلي الردايدة في هذه المعركة، أنه كان يقود حصانه عندما فاجأتهم الطائرات تقصف مواقعهم، وحفاظًا على هذا الحصان لم يدعه، بل أخذ بخطامه بين أسنانه، وأمسك بندقيته بيديه، ليرد على قصف الطائرات، حتى انتهت المعركة، فأصيبت أسنانه بألم شديد عانى منه مدة طويلة. بعد انتهاء المعركة مباشرة جاء الجيلاني ومن تبقى معه من المجاهدين لتفقد الجرحى والشهداء، وإذا بالقائد الكبير عبد القادر الحسيني جريح وإصابته بليغة، وكان قد أصيب في بطنه ورجله اليسرى، فأحضر له جملاً وحمله عليه إلى جبل الخليل، حيث مركز القيادة في شعب الملح، وخصص له خمسين مجاهدًا ليقوموا بحراسته، حتى يشفيه اللَّه، ويرجع إلى ساحة الجهاد.

وأرسل الجيلاني في طلب الأطباء العرب، ولكن للأسف لم يعثر على أحد منهم مما اضطره إلى القيام بعملية خاصة لإحضار طبيب ولو كان إنجليزيًّا حيث طوق مستشفى (مارلوقا) الإنجليزي ليلاً بالتخطيط مع الممرضين: خليل وحسن عابدين اللذين يعملان مع الطبيب البريطاني مستر (صوفر) حيث اقتادوه إلى الجبل، وبقي يعالج المجاهد الحسيني ثلاثة عشر يومًا، حتى قام بإذن اللَّه سالمًا، عندها سمح الجيلاني للطبيب (صوفر) بالعودة إلى عمله دون أن يعرف أن الذي كان يعالجه هو قائد الجهاد المقدس عدو الإنجليز اللدود عبد القادر الحسيني - رحمه اللَّه -.

ولم يكتف الجيلاني بهذه المعالجة لأخيه الحسيني، بل قام بنقله إلى بيت الممرض خليل عابدين ليلاً، ثم نقل من هناك مارًّا بأراضي العبيدية

وعرب التعامرة إلى الشونة، وركبوا من هناك خمس قاطرات، وسافروا إلى دمشق، وكان عدد المجاهدين في تلك الرحلة الاضطرارية سبعين مجاهدًا، وقام الجيلاني بتسليمه لسماحة المجاهد مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني لوضعه تحت العلاج الكامل، ومن ثم قفلوا راجعين إلى فلسطين ساحة الجهاد ومقارعة أعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين»[١] .

الشاعر عبد الرحيم محمود

❑ بطل عظيم من تلاميذ القسام... صدق اللَّه فصدقه... هو القائل:

سأحمل روحي على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فإمّا حياة تسرّ الصديق	وإما مماتٌ يغيظ العِدَى
ونفسُ الشريف لها غايتان	ورود المنايا ونيلُ المنى

عندما تفجّرت الثورة عام ١٩٣٦م كان ـ رحمه اللَّه ـ من جنود الثورة تحت إمرة القائد «عبد الرحيم الحاج محمد». وفي مارس ١٩٣٩م يسقط المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، وتطارد الحكومة البريطانية المجاهدين في كل مكان، فيتسلل ـ رحمه اللَّه ـ إلى العراق، ويلتحق بالكلية الحربية في بغداد، ويتخرّج فيها ضابطًا.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في هوان المسلمين في عصره بعد أن تكلم عن مجدهم السالف:

تنافرت القلوبُ فلا ودادٌ	وفرّق شملهم خوفٌ فذلُّوا

---

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٤٢ ـ ٤٧).

وهانوا لا يعزُّ لهم قناةٌ — على الأعداء فانكسروا وغُلّوا
وناموا لا تُفيقهم خطوبٌ — ولا أبناء جلادٍ يَشُلّ
يدوس حراقهم طيرٌ بُغاث — ويقهرهم من الأقوام سُفْلُ
عجبتُ لمعشر فيهم كتابٌ — به طرق الهداية كيف ضلّوا!!
أعدّ لهم أعاديهم سلاحًا — وعُدّتهم لها خُطَبٌ وقولُ[1]

◻ وكانت أروع القصائد التي كتبها البطل هي آخر قصائده، لم تُكتب على ورقٍ، ولكن على ساحة القتال، ولم تكتب بمداد، ولكن كُتبت بدمه الذي سال في معركة الشجرة في ١٣ من تموز (يوليو) عام ١٩٤٨م.

تعال نستمع إلى شهادة الملازم عبد الرازق المالكي أحد ضبّاط جيش الإنقاذ، وقد حضر المعركة.. يقول: «وتقدّم أبو الطيب ـ عبد الرحيم محمود ـ بأفراد سريته، وأدار المعركة، وكسر الطوق عن العرب المحاصرين، وقد أُصيب بقنبلة خلال الزحف، وفارق الحياة بعد أقل من ربع ساعة، وسحبناه على الأرض وسط رصاص المعركة الكثيف إلى قرية «طوعان القريبة، ومنها نقلناه في سيارة عسكرية إلى الناصرة... وشيّع جثمانه من المستشفى إلى المقبرة الإسلامية فيها»[2].

* مفتي فلسطين الحاج أمين الحُسيني المجاهد الكبير:

كانت له مكانة كبيرة في نفوس المجاهدين وقادتهم وخاصة الشيخ عز الدين القسّام يقول المجاهد السيد أحمد حسين حمدان وهو من

---

(١) ديوان الشاعر عبد الرحيم محمود.

(٢) مجلة القدس ـ العدد الخامس ـ المحرم ١٤٢٠هـ ص(٧٧).

مجموعة القسّام:

«كنا نحرص جميعًا على إخفاء علاقة أي منا بغيره، وكذلك على إخفاء علاقة هذه المجموعة أو تلك بسماحة المفتي. وبعد استشهاد الشيخ القسّام ـ رحمه اللَّه ـ، تولى الشيخ عطية مكانه، وبعد استشهاده تولى الشيخ يوسف أبو درة مكانه، وهما أصلاً من مجموعة القسّام. فلما بدأت ثورة ١٩٣٦م وما بعدها، بدأ ينكشف ارتباط المجموعة بسماحة المفتي، وارتباط القائد أبو درة به أيضًا، وبدأت تنكشف علاقة المفتي بالثورة وتنظيمها، فبدأت مطاردة الإنجليز له، كما هو معروف، حتى اضطر إلى مغادرة البلاد ليقود الثورة من الخارج مع مجموعة من إخوانه المجاهدين معه، فاستقر قسم في بيروت مع سماحة المفتي، واستقر قسم في دمشق، لينسّق الطرفان معًا قيادة الثورة»[1] .

❏ يقول الأستاذ عوني جدوع العبيدي:

«بعد أن ترسّخت عند سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى القناعات بأن الكلمات وحدها والقرارات السياسية غير المدعومة بقوة السلاح لا تجدي.. توجّه ـ رحمه اللَّه ـ إلى إقامة ثورة شعبية فلسطينية ضاربة، فكان تأسيس جيش الجهاد المقدّس بقيادة (الشهيد) عبد القادر الحسيني، وأخذ الحاج أمين يزور المدن والقرى والبوادي ليلتقي بالوجهاء والشيوخ والزعماء الفلسطينيين بقصد دعمهم الجهاد المقدّس بالمال والرجال وليبث فيهم روح التضحية والجهاد في سبيل اللَّه، حماية للوطن ومقدساته.

---

(١) «على أبواب القدس» (٢٦٥ ، ٢٦٦).

وكانت قرية العبيدية إحدى تلك القرى المجاهدة التي حلّ سماحته فيها ضيفًا، وأُقيم له احتفال مهيب؛ واستقبله وجهاء ومخاتير ورجالات العبيدية جميعهم، واتفق معهم على تزويد الثورة بفصيل من الثوار، وأن يساعدوها بما أوتوا من قـوة، فكان «فصيل قرية العبيـدية» بقيادة المجاهد الثائر موسى علي جابر الردايدة»[١] .

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي عنه: «رجل فلسطين، مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين الحسيني توفي في خمسة تموز سنة ١٩٧٤م في بيروت. علم من أعلام العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة.

يا أيها الجسد الثاوي على شرف ... أكبادنا لشهيد الحق أكفانُ

تُرْخِي عليك حنانًا من جوارحنا ... ظِلاً وتسكب قَطْرَ الغيث أجفانُ

يظل قبرك يروي كلما وقفت ... أمامه خاشعان الطرف أزمان

يروي صحائفَ أمجادٍ معطرةٍ ... لها من الخُلُق الميمون عنوان

أوْقَدَتْ معركة للحق صابرةً ... تقودها وينير الدرب قرآنُ

كم أطلق البطل «القسام» غضبته ... وزمجرت دونه بيد وكثبانُ

ردّ الحسيني وجه الكفر مندحرًا ... يجرهم من نواصي الذلِّ خسرانُ[٢]

❁ ❁ ❁

(١) «بطولات من أرض الإسراء» لعوني جدوع العبيدي ص(٣٠ ـ ٣١) ـ دار النفائس الأردن.

(٢) من قصيدة «دمعة على رجل» من «ديوان الأرض المباركة» للنحوي ص(١٣١ ـ ١٣٨).

موسى العلي الردايدة قائد مجاهدي العبيديين[1]

□ مرّ ذكر هذا البطل قائد «فصيل العبيديين» في معارك الجهاد بفلسطين:

«اشترك العبيديون في معركة حوسان الأولى سنة ١٩٣٦م، وقد جرح فيها القائد عبد القادر الحسيني جرحًا بسيطًا نتيجة قذيفة صوبت نحوه إلا أن اللَّه ـ عز وجل ـ سلمه من تلك الحادثة.

وقد أصابت القذيفة حزام الذخيرة (القشاطات) فمزقته شر ممزق، ولقد بقيت هذه (الجنادات) عند علي شحاذة الجابر الردايدة مدة طويلة محتفظًا بها ذكرى لتلك المعركة.

وشاركوا كذلك في معركة ليات وادي قطيف حيث اشتبكوا مع إحدى القافلات اليهودية والتي قتل فيها أحد كبار المهندسين اليهود، وقام موسى العلي منفردًا، وترصد لمهندس مستعمرة رامات راحيل آنئذ وقتله.

وفي منطقة وادي السدر على طريق أريحا ـ القدس، قام وبمساعدة المجاهد خليل الدبش وبعض الثوار التابعين له بتخريب خمسة عشر عمودًا من أعمدة التليفون، وهدم أحد الجسور.

ومن معارك الجهاد التي شارك فيها العبيديون كذلك معركة دار السقا في مكان يقع بين مارالياس وبيت لحم، واشتركوا كذلك في معركة بني نعيم ١٩٣٨م، ومعركة رامات راحيل ١٧ أيار ١٩٤٨م، ومعركتي نحالين ١٩٥٤م وحوسان ١٩٥٦م إلى غير ذلك من المعارك والاشتباكات المتناثرة: في صفحات التاريخ الفلسطيني الحديث»[2].

---

(١) العبيدية قرى من قرى بيت لحم بفلسطين.

(٢) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٤٠ ـ ٤١).

*** معركة الدهيشة:**

«في يوم السبت ٢٧ آذار عام ١٩٤٨م أي قبل انسحاب البريطانيين من فلسطين بقليل خرجت مجموعة من عرب العبيدية قاصدين قوافل اليهود، وكمنوا في إحد البساتين الواقعة بقرب الطريق العام، وكانوا أربعة مسلحين.

وجاءت قافلة مؤلفة من (٢٥٠) جندي في أربع وخمسين عربة يحرسها أربع من المصفحات، قاصدة مستعمرة كفار عصيون، وجد هؤلاء الثوار أنفسهم في معركة غير متكافئة إذا ما أظهروا أنفسهم لتلك القافلة التي كانت تسير ببطء، لذا قرروا أن يسبقوها، وذلك لإقامة الحواجز أمامها ومنعها من إكمال المسير حتى يتكاثر عدد المجاهدين، ورصدوها على مقربة من الدهيشة بعد أن ملئوا الطريق بالحجارة الكبيرة، ولما قدمت القافلة فُوجئت بهذا الفعل، وكان يتقدمها مصفحة ذات عجلات وتقوم بمهمة الجرافة، وحاولت إزالة تلك الحواجز فعجزت.

أما المجاهدون فقاموا بتعطيل هذه الجرافة وبقية السيارات المتقدمة على القافلة، وذلك بإطلاق النار نحو عجلاتها، ظن اليهود أن الثوار كثيرو العدد، فقرروا الانسحاب نحو بيت كبير مهجور، ولم يبق منهم إلا الذين كانوا في الجرافة وعددهم ١٢ رجلاً وامرأة، فلم يتمكنوا من الخروج، وعندما تطاير خبر القافلة إلى أبناء القرى المجاورة والدهيشة بالذات تقاطر الثوار من كل حدب وصوب، وقام الثائر محمد عبد اللّه من بيت ساحور باحضار زجاجتين من البنزين، وتسلل قاصداً الجرافة، ووضع تلك الزجاجات تحتها، وقام الثوار بدورهم برشقها برصاص

محرق فاندلعت النار فيها، وتفجرت، وقتل جميع من فيها، ووجدوا فيها (برنا) وعددًا من الأسلحة، ولكنها غير صالحة، فقد اندلعت فيها النار أيضًا نتيجة الانفجار، وجاءت بريطانيا لتطالب جماعات الثوار بترك من تبقى من اليهود مقابل ما معهم من عتاد فرفض الثوار، عندها أمهلتهم بريطانيا حتى الساعة الرابعة مساءً، وكان الحديث قد دار بينهم الثانية عشر ظهرًا، فاستغل العرب هذه المهلة المعطاة لهم، ولم تأت الساعة الرابعة إلا وسبعة وثلاثون يهوديًّا قد قتلوا، وما تبقى منهم خرج حيًّا والنجاسة تسيل على أقدامهم من شدة الخوف الذي لاقوه من ثوار العرب، وغنم المجاهدون ثلاث مصفحات وثمانية باصات كبيرة، وثلاثين سيارة شحن، ومائة وسبعين بندقية، وعددًا من القنابل والمسدسات، ومقادير كبيرة من الأعتدة والذخيرة اقتسمها المجاهدون، وأما البقية الباقية من سيارات القافلة فقد التهمتها النيران، واستشهد في معركة الدهيشة ١٢ عربيًّا وجرح ثلاثون»[١] .

* معركة رامات راحيل:

أما معركة (رامات راحيل) فيروي الأستاذ عارف العارف صاحب كتاب «النكبة» عنها ما يلي: «وعندما وصل المصريون إلى القطاع الجنوبي من مدينة القدس كانت الحرب على أشدها فيها، وكان المجاهدون من أبنائها يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الذود عنها، وكانت المعركة قائمة من ناحيتها القبلية حول «رامات راحيل»، وقد احتلوها في ١٧ أيار، وكان عددهم يومئذٍ مائة وخمسة وثمانين، ودخلتها حامية

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٥٣ ـ ٥٦).

مارالياس من ناحيتها الغربية.

وكانت بقيادة إبراهيم أبودية، وكانت هذه تناوئ اليهود هناك منذ رحل البريطانيون عن البلاد في ١٤ أيار، وقد قتل من رجالها عشرة وجرح خمسة عشر، والإخوان المسلمون من السوريين دخلوها من الناحية القبلية، وكانوا بقيادة الشيخ مصطفى السباعي، وقد قتل منهم خمسة وعشرون، ومناضلو صور باهر جاؤوهم من الناحية الشرقية، وكانوا بقيادة جاد الله محمود، وكذلك قل عن عرب التعامرة، وكان منهم خمسة عشر مناضلاً، يقودهم أحمد السالم وعرب السواحرة والعبيديون، وعددهم عشرون مناضلاً، يقودهم محمود العلي، وعدد من المناضلين الخلايلة يقودهم عبد الحليم الشلف، وكان معهم دبابة أردنية فيها بعض الضباط الأردنيين، ومنهم الضابط حكمت مهيار، والضابط نزار المفلح من ضباط السرية الثانية عشرة التابعة للكتيبة السادسة، وفرت حامية المستعمرة تاركة وراءها عدداً كبيراً من القتلى والجرحى ومقادير وافرة من الذخيرة والمؤن والأدوات المنزلية وآلات القتال!»[1].

* معركة حوسان:

◻ وعن هذه المعركة يقول الدباغ: «وفي الساعة التاسعة من مساء ١٩٥٦/٩/٢٥م شن اليهود هجوماً واسع النطاق على مراكز القوات الأردنية في قريتي وادي فوكين وحوسان، وقد تقدموا بهجومهم الرئيسي على موقع حوسان بقوة تقدر بلواء مشاة كامل تسانده المدفعية، ودام

---

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٥٦ ـ ٥٨).

الاشتباك حتى الساعة الواحدة والنصف صباحًا، وقد صمد رجال الحرس الوطني صمودًا عظيمًا، وتطورت المعارك إلى التحام بالسلاح والأيدي، الأمر الذي كبد اليهود خسائر فادحة، وقد أخذت سيارات الإسعاف تتجه بالعشرات جنوب معسكر عين كارم، وعثر في مكان المعركة صباح اليوم التالي على جثث إسرائيليين بينهم جثة ضابط، لم يتمكن اليهود من سحبها كعادتهم، ودلت التقارير على أن خسائر العدو أضعاف خسائر العرب التي بلغت (٣١) شهيدًا»[١].

* حتى لا ننسى الأبطال الجبال الميامين من أرض الإسراء فلسطين:

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي:

«من حق المؤمنين المجاهدين أن نذكر بعض الأسماء التي عرفناها في ميدان الجهاد، نذكرها اعتزازًا بها، واعتزازًا بمن جهلنا اسمه دون إنقاصٍ من قدره وجهاده. وإنما أجرهم جميعًا عند اللَّه، هو أعلم بهم وبقلوبهم، وهو اللَّه الحق يوفّيهم أجرهم:

عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس في فلسطين، كامل عريقات مساعده، الشيخ عزّ الدين القسّام الذي سبق أن ذكرنا طرفًا من سيرته العطرة، خليل العيسى (أبو إبراهيم الكبير) من مزرعة القدس، توفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) من أندور الناصرة، عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) من ذنابة، الشيخ محمد أحمد الحسن من برقة، عارف عبد الرزّاق (أبو فيصل) من الطيبة، الشيخ حسن سلامة (أبو علي) من قضاء الرملة، عبد الفتاح العبد (أبو عبد اللَّه) من سيلة الظهر،

---

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٦١ ـ ٦٢).

محـمد صـالح العبد (أبو خـالد) من سيلة الظهـر، إبراهيم أبو دية من صوريف الخليل، الشـيخ عطية أحمد من حـيفا، عبد اللّـه يوسف عمر (أبو عمر) من سيلة الظهر، عيـسى البطاط من قضاء الخليل، عبد الحليم الجيـلاني (أبو منصـور) من الخليل، الشيخ عـيسى أبو دارة من السـيلة الحـارثية وقـد تولى القـيادة العـامة فـي بعض مراحل الثـورة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)م، سليمان عبد القادر (أبو علي) من سـمسم غزّة، الشيخ أحمد التوبة من صفورية، الشيخ فرحان السعدي من نورس، أحمد طافش من صفـد، عبد اللّـه الشاعر من صـفد، عبـد اللّه الأصبح من الجـاعونة، محمود عثمان (أبو سلطان) من صفد[1].

لم يكن هؤلاء وحدهم هم القادة أو الجنود، فلعله سقط منا بعض الأسمـاء التي أعطت وبذلت، ونعتذر عن أي تقـصير بحق أي مـجاهد صدق اللّه في جهاده، وأجر الجميع عند اللّه هو ربهم وهو أعلم بهم.

ولا نعني بهذا أن المسـيرة الإسلامـية كانـت قد استكملت عُـدّتها ونهجها. ولكننا نعني أن الراية والشـعار، والعاطفة، والجمع، كل ذلك كان يدفعه الإسلام والإيمان إن شاء اللّه، بحدود ما علمنا وما تواترت به الأنباء والشواهد والوثائق.

ولقد تخلّل العمل قدر من الاجتهاد الذي كان لا بد منه، الاجتهاد البشرى الذي يصـيب ويخطئ. ولكن المسيرة كانت تحتـاج إلى استكمال

---

(١)«في كل مدينة أو قرية فـي فلسطين مجاهدون نفروا إلى الجهـاد على مدى سنين طويلة، لا نستطيع أن نحـصر أسماءهم، عـسى اللّه أن يوفيهم أجـرهم ويزيدهم من فضله، لمن صدق اللّه وجاهد في سـبيل اللّه، لم تدفعه إقليـمية أو قومـية، أو أي عصبيـة جاهلية» ا.هـ من كلام الدكتور النحوي في هامش كتاب «على أبواب القدس» ص(١٢٦).

بعض الأمور والإمكانات، لم يهيئ الواقع آنذاك سبيل توافرها»[١] .

* معركة الكرامة «الخميس ٢١ مارس ١٩٦٨م»:

وهو اليوم الذي أذلّ اللَّه فيه اليهود بعد نكسة يونيو. ويا له من يوم!!

في ١٧ مارس ١٩٦٨م حشد اليهود قوات كبيرة على طول نهر الأردن تمهيدًا لغزو الأردن ولضرب الفدائيين من حركة فتح «وكانت خليطًا قوميًّا ضمّ الإسلاميين!!! مع غيرهم»، وكان لا بد من إنزال أكبر الخسائر بقوات اليهود رفعًا لمعنويات العرب بعد نكسة يونيو ١٩٦٧م - وتواجد في أرض المعركة أفراد الجيش الأردني مع قوات فتح.

▫ وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨م بدأ العدو يهاجم الأردن بمئات الدبابات والطائرات وجنود المظلات، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الأمة العربية، معركة أثبتت أن الانسحاب ليس دائمًا شرط السلامة وأن أبناء العرب والإسلام يستطيعون أن يوقفوا العدوان بصمود شريف.

يقول مراسل صحيفة دي تسيت الألمانية:

«في الساعة الخامسة وأربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الإسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الأردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الأردنية.

وفي نفس الوقت تقريبًا نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الإسرائيلية للعمل وشرعت تلقي قنابلها في كل مكان، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الهليوكوبتر) تنزل المظليين في منطقة

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(١٢٥ - ١٢٦).

الكرامة وسارت الأمور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل أبيب، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم، وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون، ثم اندفع قسم منهم فطوق الإسرائيليين، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالأيدي ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالأسنان، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الأسرى الإسرائيليين دليلاً ظاهرًا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم».

وليس أبلغ من هذا الوصف الأجنبي لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوي المدافع بطلقات الرصاص، بصكيك الأسنان تنطبق على أعناق جنود إسرائيل، وفي وجناتهم، إنها حرب الشوارع والمواجهة، إنها حرب الفداء، إنها حرب الإيمان الذي يقرر ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لقد ظهر جليًّا أن إسرائيل كانت تستهدف احتلال الأردن، وإذا تعسر ذلك فسوف تكتفي بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر، ولكن الوقفة البطولية التي وقفها أبطال «فتح» ورجال جيش الأردن الباسل كانت فاجعة لإسرائيل، فلم تستطع أن تحتل الأردن، ولم تستطع أن تبقى في مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تجر قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات.

يقول تقرير مستقى من الصحفيين الأجانب ذوي العلاقة بإسرائيل أمكن الحصول عليه بعد نحو أسبوعين من المعركة ما يلي: «اتصل مسئول إسرائيلي بعدد من الصحفيين الأجانب معظمهم من الأمريكيين والأوربيين واليابانيين مساء يوم الأربعاء ٢٠ آذار (مارس) وطلب منهم

التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعدادًا لإطلاعهم على ما وصفه بأنه (مفاجأة كبيرة). وفي الموعد أخذوا إلى أريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب: ستنقلون إلى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في إنهاء حرب جيوب المخربين، وقد نتناول القهوة معًا في عمان هذا المساء.

ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلاً عن عمان، فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعد العاشرة صباحًا، وأبلغهم أن الرحلة ستكون لتل أبيب حيث حضروا مؤتمرًا صحفيًّا لا قيمة له.

لقد كانت خسائر إسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرته في حرب يونيو (حزيران). فقد قدرت الأوساط والصحف الغربية بأن إسرئيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطبت.

❑ يقول الأستاذ صالح أبو بصير صاحب كتاب «جهاد شعب فلسطين»:

«ولقد سمعت بأذني من شيخ يسكن القدس، وسمح له بزيارة أقاربه في عمان وقابلته شخصيًّا في مكان آخر: «أن سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفًا من نتائج الهجوم الإسرائيلي على الضفة الشرقية، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر، وأنهم بدءوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحًا حين أخذت طائرات الهليوكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا، يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى، وحين أخذت طوابير سيارات

الإسعـاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهابًا وإيابًا إلى منطقة القتال مما أفهم العرب في القدس أن غزو إسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وأن خسائرهم كبيرة وكبيرة جدًّا»، قال هذا الشيخ: وعدنا إلى بيوتنا نعانق أطفالنا ونحدثهم أن اطمئنوا، فإن أمتكم ما زالت بخير، إن أمتكم لم تمت كما يقول لكم أطفال اليهود منذ الخامس من يونيو».

☐ ويصف متحدث رسمي لمنظمة «فتح» ساعات من ذلك اليوم في تصريحه أثناء المعركة فيقول:

«استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق أي من أهدافه، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منظمة أمام الضربات المذهلة التي سددتها له قواتنا، ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره إلى طلب وقف إطلاق النار عندما أدرك أن تفوقه الجوي والآلي لا يحميه من رجال صمموا على النصر».

☐ويصف مراسل مجلة «الثورة الفلسطينية» العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول:

«بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من مسائه، استطاع أبطال العاصفة في الأغوار أن يعيدوا إلى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، وعكرمة وجعفر وكل أبطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين أسماء أبو أمية ورؤوف وربعي وأبوالعبد أبو شريف، أسماء ابتدأت بالشهيد أحمد موسى عام ١٩٦٥م ولن تنتهي إلا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن إن الباطل كان زهوقًا».

لقد أثبتت الإصابات في الشهداء أنها كلها كانت في الصدر والوجه وثبت أن طيران العدو ليس إلا وهمًا، وأن براعته القتالية لا تخيف الأبطال والمجاهدين، وأن جيش الدفاع الإسرائيلي ليس إلا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا.

وهكذا مضى يوم الكرامة يومًا خالدًا دفعت فيه «فتح» مجموعة كريمة من أبنائها شهداء، ولكنهم كانوا ثمن النصر ولإزالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران)، ولإثبات أن المقاتل العربي يستطيع أن يصمد، وأن يصد وأن يدحر عدوه دون انسحاب، وأن كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود أبدًا ظروفها المربكة بعون اللَّه».

وكان يوم الكرامة ميدانًا لبطولة الجيش الأردني أيضًا. فقد دافع الأبطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح، وإلى أن تم جلاء الأعداء، ودفع هذا الجيش أيضًا كثيرًا من رجاله شهداء في ميدان الشرف والتضحية.

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع أنحاء فلسطين سطروا بدمائهم حروف التضحية، وقووا العزم لدى جماهير أمتنا العربية كلها، لقد بلغ عدد شهداء «فتح» حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيدًا ولا نشك أن قرابة مائتي شهيد لحقوا بإخوانهم بعد ذلك حتى اليوم، ولكن خسائر إسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها دايان وزير حربية الأعداء نفسه، وليس بإمكاننا في هذه العجالة أن نعدد معارك «فتح» والفدائيين، ولكن هذا لا يمنعنا أن نعيد للأذهان هجوم فتح على مطار أريحا والهجوم على مخازن البترول في

ميناء إيلات حيث بقي الحريق ثلاثة أيام بلياليها، والهجوم على معسكرات الأعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث، والهجوم على قرى مجاورة لتل أبيب، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي أعد لموشي ديان فأبقاه شهرًا تحت علاج خطير، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها إسرائيل أكثر من سبعين جنديًّا بين قتيل وجريح، وكانت ثأرًا للعرض العسكري بالقدس، وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين، ويعلن بلاغ لفتح أنه في إحدى عشر عملية فدائية خسرت إسرائيل أكثر من ١٥ جنديًّا وبعض السيارات العسكرية، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو، حتى أربكها طوال شهر مايو (أيار) ١٩٦٨م.

عبدالله يوسف عزام البطل الفلسطيني والمجاهد الكبير

□ ينبوع ثر تفجر ليمد نهر الإسلام الخالد بجديد من دماء ... ألا وهو المجاهد الكبير دكتور عبد الله عزام ابن «سيلة الحارثية».

رابط عبد الله عزام ووالده في أرض الأردن يفيان بنذر فلسطين، ويرابطان على أكناف بيت المقدس، كان ذلك في عام ١٩٦٨م.

قرر عزام أن يتفرّغ لقضية الجهاد فترك الفراش الدافئ والزوجة إلى الجبال والنيران والدماء، فأسس عام ١٩٦٨م قواعد أسماها «قواعد الشيوخ» شمال الأغوار في منطقة إربد. «وكانت هذه القواعد لا تزيد عن أربع، وربما كانت أقل، وكانت تابعة كلها لقوات العاصفة وتحت إشرافها، على أن تُعطي القاعدة حق الأذان والصلاة!! ولعلها كانت القواعد الوحيدة التي يقوم فيها الأذان في أوقاته، وتقام صلاة الجماعة

في أوقاتها!! واشترك الشيخ عبد اللَّه عزام في إحداها، معلمًا وداعية إلى اللَّه ورسوله ومجاهدًا في سبيل اللَّه. وقام ذلك النفر المؤمن بجولات جهادية كريمة إن شاء اللَّه، وكان من أهمها عملية الحزام الأخضر»[1].

«معركة الحزام الأخضر التي لا يزال التاريخ يذكرها كمثال واضح على ترابط أجزاء الأمة مهما فرّقها الحكام أو المستعمرون فهذا مصري وآخر سوري وفلسطيني وأردني يقاتلون عدوًّا واحدًا وهم على قلب رجل واحد.

في عام ١٩٧٠م أرسل وزير الدفاع الإسرائيلي الإرهابي إرييل شارون ـ مراسلاً كنديًّا وآخر أمريكيًّا إلى الحدود يطوفان بها ليثبت لهما أن المقاومة قد انتهت، وإذا بعبد اللَّه يخرج لهم بأبطاله كملائكة العذاب فيقتل اثنا عشر يهوديًّا ويجرح الصحفيان، وتضجّ وسائل الإعلام العربي ـ وخاصة حركة فتح ـ فرحًا بنصر اللَّه. وعمليات أخرى قادها وخطط لها الشيخ عزّام من أجل القدس من أشهرها «عمليات سيد قطب».

ولم يستمر مقام عبد اللَّه عزام طويلاً في «فتح» وقوات «العاصفة» بعد أن دب الخلاف، وفصل من الجامعة عام ١٩٨٠م.

ثم عُيِّن عزام أستاذًا في جامعة الملك عبد العزيز في جدة بعد مدة قصيرة من تركه الجامعة الأردنية، ثم انتدبته جامعة الملك عبد العزيز ليعمل في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، فانطلق إلى هناك مع زوجته وأولاده، ثم ترك العمل في جامعة إسلام أباد سنة ١٩٨٤م، وتفرّغ تفرّغًا كاملاً للعمل في ساحة الجهاد في أفغانستان الملتهبة في معارك

---

(١) «عبد اللَّه بن عزام أحداث ومواقف» ـ لعدنان النحوي ص(٣٣ ـ ٣٤) ـ طبع دار النحوي.

ضارية ضد الاتحاد السوفيتي. . . وهناك أثّر أبلغ الأثر في مسيرة الجهاد الأفغاني وقاده ووجّهه.

وعندما ألحّ عليه الناس يومًا في الجهاد من أجل فلسطين، فقال لهم: «واللَّه الذي لا إله غيره ليست أفغانستان عندي أعزّ من فلسطين، ولا كابول أقدس من الخليل، ولكنها فرصة أغتنمها بعد أن طاردني الظالمون وحالوا بيني وبين أن أبلغ كلمة اللَّه رب العالمين فخرجت إلى أرض أجد فيها سبيلاً للحركة، فلماذا أنتم علينا عاتبون؟! واللَّه إن فلسطين في كل القلوب وعلى كل الألسنة».

وها هو يسرّه يومًا جند اللَّه، وهم على جبال كابل فيقول: «واللَّه إني لأتمنى أن أنقل هذه الصورة المشرقة من فوق جبال الهندوكوش إلى جبال الجليل في فلسطين».

لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ يرى أن مكثه في أفغانستان إنما هو مرحلة مؤقتة حتى لا ينسى الجهاد، ولا تأخذه متع الدنيا فيقول: «العيب كل العيب أن تظلّ بعيدًا تأكل فتسمن وتترهّل، ثم تعيب على الآخرين»[1].

وسقط البطل في أفغانستان.

كل ساحة في الأفغان حملت لهفة الشوق إليه، وكل قمة من جبالها مهما علت ذكريات غالية لديه، وجولة عبقرية في نواحيه، همسات الساحات، ولفتات القمم، ونجوى الوديان، كلها حنان وحنين، وعبق الأيام والسنين كل ميدان في فلسطين يحنّ إلى ابنه المشرّد النائي، يتلفّت إليه في لهفة، ويبحث عنه في ترابه وحنانه، ويسأل عنه الأفق

---

(١) من مقال «عزّام عزيمة لا تُقهر» لأحمد أبو مليح ـ العدد ١٤ من مجلة القدس ص(٨٢ ـ ٨٦) ذو القعدة ١٤٢٠.

والغروب والشروق، ويطوي حنينه مع الليل في نجوى مكبوتة أو وثبة وأمل، أو دفقة وعطاء، كل نجم في السماء ينظر إلى ذكريات دربه ومساره، في أرض واسعة مدّها اللَّه لعباده المؤمنين.

أبى الإسار الخانق، واللهو الرخيص، ودنيا القاعدين، وتمتمة الحالمين... ونهضت إلى عهد وأمانة، وانطلاقة وفسحة ومسعى، وإلى غرض أعلى وأعلى، وميدان فوّار بالدم، وساحة يُثرت فيها اللآلئ والجواهر، وطوّفت فيها أحلى الأمنيات.

وفوّح الدم مِسكًا ليس يَعْدِلُهُ مِسْكٌ ولا نَشَرَ المسكُ الذي نَشَرَا

* القائد اليهودي يوسي بليد يؤدي التحية أمام جثمان الطيار المجاهد اعترافًا بشجاعته وبطولته (عملية النسر):

في أواخر شهر نوفمبر ٢٥/ ١١/ ١٩٨٧م تمكّن فلسطينيان وسوري وتونسي من اختراق المجال الجوي لفلسطين المحتلة بواسطة طائرات شراعية فيما يُعرف بعملية (النسر)، وهاجم أبطال هذه العملية أحد معسكرات العدو، ونشروا الرعب والهلع في قلوب أفراده، وهذا ما بعث جوًّا من الثقة والارتياح النفسي واستعادة شيء من الأمل بمقدرات هذه الأمة التي تستطيع أن تفعل الأعاجيب إذا عقدت النية وتوكلت على اللَّه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[١].

قال عن هذه العملية الدكتور عدنان النحوي[٢]:

«في ليلة الخميس ٥/ ٤/ ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٦/ ١١/ ١٩٨٧م،

---

(١) «الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد» لغسّان حمدان ص(٣٠) مكتبة الفلاح.

(٢) انظر «على أبواب القدس» ص(٢٢٠ ـ ٢٢١)، و«ملحمة فلسطين» ص(١٧١ ـ ١٧٧).

انطلق أربعة من أبناء المسلمين من جنسيات مختلفة إلى أرضهم وبلدهم «فلسطين»، الأرض المباركة المغتصبة، انطلقوا وهم يستخدمون طائرات شراعية خفيفة مزودة بمحرك صغير.

فبلغوا هدفهم واقتحموا معسكر الأعداء، معسكر اليهود، فأبلوا بلاء حسنًا، وقتلوا من اليهود من قتلوا، وارتفعوا إلى حيث يرفعهم إيمانهم وعملهم، واللَّه أعلم بهم ويوفيهم أجرهم وعاد من نجا إلى مواقعه. ووقف القائد اليهودي يوسي بليد قائد المنطقة الشمالية أمام جثمان الطيّار وأدّى له التحية اعترافًا منه بشجاعته وبطولته، ولقد سَمَّيتُ هذه العملية «الشراع الدامي» في القصيدة التي نظمتها لها»[1] :

أَطلق شراعَك في السماءِ وحَلِّق ... واصعَدْ كما يهوى إباؤك واخفُقِ
وارفع ميادين الجهاد فَحقَّها ... وَثَباتُ صَعَّادٍ ولهفةُ مُرْتقي
ضاقتْ بها الساحاتُ فانفرَجتْ لها ... سُبُلُ الفضاءِ وعالمٌ لم يُغْلقِ
وتواثَبَتْ فيها الصقور وحَوَّمَت ... فيها النسور وهمّةٌ من مُعْرِقِ
بطلٌ عزيمتُه لهيبٌ مُسْعرٌ ... وخُطاهُ زحفُ كتيبةٍ أو فَيْلقِ
وشِرَاعُه ملأَ الفضاءَ كأنهُ ... نورٌ سَرَى من وَهْجِهِ المُتَأَلِّقِ
يا يوم أن أدى التحيةَ «مجرمٌ» ... لجلالِ جثمان وعزٍّ مُحَلِّقِ[2]

❊ ❊ ❊

(١) «جريدة الشرق الأوسط» عدد ٣٢٩٣ تاريخ ١٣/٣/١٤٠٨هـ، الموافق ٤/١٢/١٩٨٧م يوم الجمعة.

(٢) «ملحمة فلسطين» من قصيدة الشراع الدامي من ديوان لعدنان النحوي ص(١٧٣ ـ ١٧٧).

* يا حمزُ رجالك ما ماتوا:

□ (عملية حائط البراق في القدس ـ منتصف أكتوبر ١٩٨٦م):

هاجم اثنان من المجاهدين مجموعة من الضباط اليهود يوم الاحتفال بتخريجهم، فقتلوا منهم وجرحوا، وبعثوا الرعب في نفوس الصهاينة الجبناء، وتمكن «طارق وناصر حليس» من الهرب إلاّ أنهم اعتقلوا بعد ذلك أثناء عمليات البحث الواسعة التي قام بها جيش الاحتلال.

□ ثم جاءت عملية «حي الشجاعية» في تمام التاسعة والنصف ليلاً من يوم (٦/ ١٠/ ١٩٨٧م) حيث اشتبكت إحدى المجموعات الإسلامية مع حاجز تفتيش لقوات العدو تطوّر إلى ملاحقة عسكرية، وقُتل في هذه العملية أحد ضبّاط العدو، واستشهد منفذوا العملية الأربعة حيث كان اثنان منهم قد هربا من سجن غزة المركزي في شهر مايو، والآخران كانا من طلاّب الجامعة الإسلامية بغزة.

□ وفي ٢/ ٨/ ١٩٧٢ تم اغتيال «كابتن» في قوات الاحتلال الصهيوني اسمه «رون طال» يبلغ من العمر ٢٢ عامًا، في عملية وصفها وزير الدفاع اليهودي ـ إسحاق رابين ـ بأنها هجوم غير عادي.



الانتفاضة المباركة

(١٧ من ربيع الآخر ١٤٠٨هـ ـ ٨/ ١٢/ ١٩٨٧)

بدأت الأحداث بطعن شلومو تاكال وهو تاجر يهودي، طُعن في ساحة التاكسيات «ميدان فلسطين» بغزة قبل أذان العصر من يوم الأحد ٦/ ١٢/ ١٩٨٧، وقامت قوات العدو على أثره باحتجاز ٥٠٠ شخص، وبتطويق المنطقة ثلاثة أيام.

□وفي مساء يوم الثلاثاء ٧/ ١٢/ ١٩٨٧، وأثناء عودة العمال الفلسطنيين، خرجت شاحنة مقطورة من مستوطنة «إيريز» وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطم سيارتين مما أدى إلى مقتل أربعة وجرح تسعة آخرين.

وعلى أثر هذه الحادثة بدأت الانتفاضة في مختلف مدن وقرى مخيمات غزة يقودها الإسلاميون ويشرفون على توجيهها، وبدأت مكبرات الصوت في الجامعة الإسلامية بغزة تطالب الطلاب بالتوجه إلى مستشفى دار الشفاء للتبرع بالدم، وبعد دفن الشهداء اشتبك الشباب والشيوخ والنساء مع قوات اليهود بالحجارة والعصى والقنابل الحارقة، وهاجم المجاهدون مركز الجيش في جباليا ورشقته بوابل من الحجارة من كل حدب وصوب، وسقط «رائد شحادة» أول شهداء الانتفاضة ـ نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ وهو من أبناء الحركة الإسلامية وطالب بالجامعة الإسلامية ليؤكد إسلامية الانتفاضة وإسلامية الأرض والقضية.

□وقام أبناء المقاومة الإسلامية بتمرير نص على جميع خطباء المساجد في الضفة الغربية، وقطاع غزة وطلبت إليهم أن يضمّنوا هذا

المقطع في خطبة الجمعة٥/ ٢/ ١٩٨٨، وقد تجاوب جميع الخطباء وأضافوا هذا المقطع إلى الخطبة: «أيها المجاهدون، أيها المرابطون، يا أهل الثغور، يا أهل الأرض المباركة لقد اختاركم اللَّه لأن تكونوا حماة الأقصى المبارك، وها أنتم تسطرون صفحة جديدة في جهادكم الطويل غير متكافئين مع عدوكم لا في العدد ولا في السلاح، لكن سلاحه الخوف والذعر وسلاحكم سواعدكم القوية، وحجارة أرضكم المباركة فكبروا وهللوا، وقوموا قومة رجل واحد، فالنصر آت بإذن اللَّه، إن العدو يبحث عن طريق للخلاص من الورطة التي هو فيها ولن يستطيع فمن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من اللَّه لا يمكن أن يتحول إلى شجاع وبطل، ولقد خبرتم اليهود عن قرب كيف يرجفون أمامكم والسلاح بأيديهم، ويفرّون والدبابات تحميهم، ويولون الأدبار والحجارة ترميهم. وصدق اللَّه العظيم ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

* نكتة فقهية: رَمْي العدو بالحجارة من الجهاد المشروع:

□ قال الشيخ محمد الشربيني الخطيب صاحب «مغني المحتاج شرح المنهاج للنووي «دفع المسلمين للعدو الذي دخل بلادهم، واحتل أرضهم، بالممكن منهم، وبالمتيسر لديهم، حتى ولو كان هذا الدفع المتيسر لهم هو رمي العدو بالحجارة» . أقول: دفع المسلمين للعدو على أي نحو ممكن متيسر هو من الجهاد»[1].

---

(١) «مغني المحتاج شرح المنهاج» للخطيب الشربيني (٤/ ٢٢٥)، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل (٣/ ١٦٩٤ ـ دار البيارق).

سكتت مدافعُنا؟! فهات حجارةً نجعل مواقعها لظًى وحديدا

ويتساءل القاعدون ويتيه الحائرون... من فجّر الصمت العميق؟

إنّه الإيمان باللّه واليوم الآخر، إنه اليقين برسالة محمد ﷺ حين تجاوز هذا اليقين، أوحال الأرض وشهوات الدنيا وتنافسها.. يحمل الصامتون الذين يركضون نحو الجنة ركضًا يحملون مقلاع داود لقتل جالوت.. هل لديهم شيء سوى الحجارة حتى ننعى عليهم.. وننزل الأمر والحكم في غير منازله نخفي ذلنا ونقول: إنّ الخذف.. لا ينكأ عدوًّا وإنما يكسر السن ويفقأ العين.. من قال إن حمل الحجارة في هذا الموضع من الخذف «ما هكذا يا سعد تورد الإبل!!»

ما صدّهم فقر العتادِ ولا أسى ذاك الإسارِ ولا فَداحةِ مَغْرَمِ
ما صدّهم حَذَرُ الرقيب ولهوُه وهوانُ أحلامِ الغفاة النوّمِ
شدّوا أكفهم كأن زنادهم وقْدُ العزيمة في لهيبٍ مُضْرَمِ

خرج أبناء الانتفاضة بالسكاكين والبلط والحجارة، وقاذفاتها، والقنابل الحارقة، والإطارات المشتعلة والحواجز والمسامير.

وأعطبوا وسائل النقل الإسرائيلية بالمهاجمة والإحراق والمتفجرات، والقضبان الحديدية، والهراوات الخشبية الصلبة، والبومات[١]، والكمائن[٢]، وأقراص النينجا «وهي أقراص معدنية يتم شحذ حافتها

(١)قطع معدنية صلبة ركب عليها عدد من المسامير المدببة الحادة تمسك بأصابع اليد الخمس.

(٢)حفر عميقة ذات فتحات واسعة نسبيًّا مغطاة بألواح خشبية أو صفائح حديدية، ثم بطبقات من الرمل تقع فيها سيارات العدو بعد جذبها إليها.

الخارجيـة، ويُمسك بها من فتـحة في منتصفـها قبل قذفهـا بشكل أفقي باتجاه الجنود المشـاة، وتشارك النساء بجمع الحجـارة في السلاسل أو في أطبـاق الغسـيل، أو غيـرها من الأواني، لقـذفهـا بالمقاليع على قـوات الاحتلال.

◻ لقد قـدّم أبناء الإسلام كوادر وعناصـر بشرية كفُؤة، وملتـزمة، ومستعدة للتضحية بدون حدود.

* الصبية الأبابيل: أصغر مجاهد سنُّه تسع سنوات يا معشر المترفين!!

يسـجل التـاريخ بأحـرف من نور أن العدو الـيهـودي قـتل الطفل الفلسطيني المـسلم تامر جـلال الدسـوقي، وهو يرشق العـدو بالحجـارة وعمره لا يزيد عـن تسع سنوات فكان أصغر مجـاهد أنبتته برقـة قضاء نابلس.

أرأيت أروع من صـبيٍ لم يزل ... عـبق الطفـولة من خُطاهُ ورُودا
ما جـاز تسـعًا من نضـارةِ عـمره ... حـتى تواثب للرَّدى صنديدا
حـمل الحجارة! لا يكاد يُطيقُـها ... حـمـلاً! ولكن مـا أطاق قُـعـودا
فـإذا الجـهـاد يهـزّه ويُعـيـده ... رجـلاً أبرّ على الجـلاد شـديدا
وإذا العـدو رؤًى تـطايـرُ دونه ... فـزعًـا وأشـبـاحٌ جـريْن شـرودا
فـرمى عليك رصـاصـه فـهـوى به ... وعلوت تنْقَح للحـيـاة خلودا
يا فـارس الميـدان! كل بطولة ... وقـفتْ تُحيي يومك المحـمودا[1]

(١) من قصيدة «من فجّر الصمت العميق؟» من ملحمة فلسطين ص(١٩٣، ١٩٤).

☐ كانت هذه الانتفاضة حرب استنزاف بكل معنى الكلمة، وهي حرب بلا جبهة، حرب متحركة تنتقل من طريق إلى مدينة إلى مخيم. حرب النفس الطويل، حرب فجائية تثبت فشل استخبارات العدو فكانت ضرباتها موجعة، ومربكة وباعثة على التخبط اليهودي.

☐ وقال مراسل وكالة فرانس بريس: «لم يعد الأطفال الذين تزيد أعمارهم على عشر سنوات، والشبان الصغار الذين تزداد جرأتهم يومًا بعد يوم يعرفون مشاعر الخوف، ولذلك فإنهم يهاجمون الجنود بالحجارة دون أن يخشوا ردّهم باستخدام الأسلحة الأتوماتيكية.

☐ وقال شالوم كوهين مراسل لوماتان الفرنسية: «إن المدهش في شوارع غزة المتمردة هو غياب الخوف الذي دفعت به مشاعر المرارة، والحقد إلى الوراء ليحلّ حماس الشباب الفلسطيني خلف متاريسهم في الشوارع أو في زوايا الطرقات، لقد أخذ هؤلاء مصيرهم بأيديهم ولم يعودوا يخشون النتائج.

☐ وقالت صحيفة هآرتس: «من يريد الذهاب إلى غزة من الإسرائيليين عليه أن يتحمل نتيجة قراره».

☐ لقد أصبح المقلاع يشكل تهديدًا خطيرًا لأمن وسلامة كيان «إسرائيل» الأمر الذي دفع بالجنود إلى دخول المخزن تلو الآخر داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م وشراء كافة المقاليع من باعة الأسلحة الإسرائيليين.

☐ لقد حطم المجاهدون ١٧٤ سيارة عسكرية وسيارات للمستوطنين اليهود، وأحدثت الزجاجات الحارقة فزعًا بين الإسرائيليين، حتى قال أحد سائقي الباصات الإسرائيلية: «إن جميع السائقين يتحدثون حول

الخوف، وسقط العشرات منهم ما بين قتيل وجريح. ولقد تمكن المجاهدون من إصابة قائد طائرة هليوكبتر عسكرية من طراز كوبرا، كانت تحلق على ارتفاع منخفض فوق مخيم الأمعري، وتقوم بإلقاء القنابل المسيلة للدموع على تجمعات أبناء المخيم، حيث تعرضت لوابل من الحجارة المتوسطة مما أدى إلى إصابة قائدها بجراح بليغة في وجهه ورأسه مما أفقده السيطرة على الطائرة، فهبط بها مساعده اضطراريًّا في أحد الحقول القريبة.

❏ وبادر الشباب المجاهد إلى تصفية العملاء الخونة إن لم يتوبوا مثل حسين السر من خان يونس، ونبيل فرج من أريحا، ومحمد عياد من قباطية.

❏ للَّه در هذا الشباب المجاهد الذي لا يجد إلا أقل القليل فيجاهد، يصب كميات من الزيت ويلقى المسامير على الطرقات الرئيسية فتنزلق العربات العسكرية، وتنثقب إطاراتها مما يؤدي إلى عرقلة تحرك آليات العدو.

❏ وخلال الفترة من الثامن من ديسمبر ١٩٨٧م وحتى السابع من إبريل ١٩٨٨، نفّذ المجاهدون (٢٤) عملية طعن بالسكاكين، مما أدى إلى مصرع مستوطن وإصابة (٢٣) آخرين بجروح مختلفة.

❏ وبدأ المجاهدون يوم ٢٨/ ٣/ ١٩٨٨ باستخدام القوس والسهم، ضد الجنود الإسرائيليين مما أدى إلى إصابة ستة جنود بينهم ضابط.

❏ وقام المجاهدون بالتعرض لجنود وضباط العدو في الطرقات الضيقة وخلال دوريات الجيش الليلية، وضربهم بشدة وخطف أسلحتهم الشخصية.

وكشفت صحيفة «حداشوت» الإسرائيلية نقلاً عن تقرير عسكري داخلي أعدته قيادة القوات الإسرائيلية في الضفة والقطاع أن أكثر من (٣٧) بندقية رشاشة من طراز هاجليل وام ـ (١٦) قد اختطفت من جنود إسرائيليين إضافة إلى اثني عشر مسدسًا اختطفها المجاهدون من ضباط العدو.

قالت جولدا مائير عقب حرب حزيران ١٩٦٧: «أين هم الفلسطينيون؟ إنني لا أراهم» وبعد عشرين عامًا على هذا الجواب لا يملك شامير ورابين وبيريز من زعماء اليهود أن يصرحوا بنفس الكلام، فلقد جاء جواب حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الانتفاضة واضحًا وجليًّا، وتفاعل الجماهير معها بشكل منقطع النظير، بداية من أول بيان لها في ١٤/١٢/١٩٨٨، لقد دفع الدور الذي لعبته حماس بجهادها وبلائها، بيهوشع بالمون، أول مستشار للشئون العربية في مكتب أول رئيس وزراء العدو إلى أن يصرح لصحيفة جيروزالم بوست الإسرائيلية «أن حرب البقاء المقبلة التي ستخوضها إسرائيل لن تكون وطنية أو اقتصادية، ولكنها ستجري ضد الأصولية الإسلامية التي تحظى بزحم هائل»[1].

ذكرت جريدة «هاآرتس» اليهودية تقرير قسم التخطيط والاقتصاد في وزارة الزراعة اعترف بأن ٧٠٪ من الانخفاض في الإنتاج الصناعي للكيان اليهودي نجم عن الانتفاضة[2].

وانهارت شركة الملاحة الإسرائيلية «يانور» المختصة بشحن الحمضيات والفواكه والسيارات.

---

(١) الأنباء (١٨/١٢/١٩٨٧) ص(٢٠).

(٢) الاتحاد «الظبيانية» (٢٩/٦/١٩٨٨) العدد (٥١٩٨).

وكانت خسائر السياحة كبيرة كلّفت الكيان الصهيوني نصف مليار دولار عام ١٩٨٨، وكانت كلفة تحركات قوات القمع خلال الأشهر الأولى في عمر الانتفاضة ٥٠٠ مليون دولار كما اعترف جاد يعقوبي.

وأصيب عدد كبير من اليهود بانهيارات نفسية وعصبية لفشلهم في قمع الانتفاضة[1].

عامر أبو سرحان رائد ومفجر ثورة السكاكين

«عملية البقعة»

لما قامت دولة البغي اليهودية بجريمتها النكراء يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول ١٤١١هـ الموافق ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م، ودخول إخوان القردة والخنازير من جماعة أمناء جبل الهيكل ساحة الأقصى بحماية حكومة شامير وردّهم شباب العقيدة الذين زادوا عن طهر الأقصى، وسقط العديد من الشهداء والمئات من الجرحى ليرووا هذه الأرض المباركة بدمائهم وأرواحهم. فكانت عملية «البقعة» يوم الأحد ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠م من البطل الحماسي عامر أبو سرحان ردًّا مدويًا.

*** بطلنا عامر سعود صالح أبو سرحان من قرية العبيدية:**

صباح المذبحة الأحد ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠م، يتوجه عامر صباحًا مع والده وإخوته إلى مكان عمله في حي البقعة، وهو يلبس ثوبًا أبيض، بعد أن شاهد صور شهداء الأقصى في بيته صباحًا، ونظر إلى هذه الصور وتأمل بها مليًّا، كأنه يقول هل أكون شهيدًا اليوم مثلكم وأفوز بالشهادة،

---

(١) انظر كتاب «الانتفاضة المباركة» لغسان حمدان.

رأته زوجته وهو يتأمل الصور.

فقالت له: عامر هل آتيك بفطورك؟ عامر: لا.

زوجته: لماذا؟، عامر: لا أجد حاجة لذلك.

زوجته: ماذا بك أراك تنظر إلى صور الشهداء؟، عامر: أحب أن أكون مثل أحدهم.

والد عامر: ينادي من الخارج: عامر، استعد ستذهب إلى العمل.

عامر: سألحق بكم في «باص القرية» أما أنتم فاذهبوا في السيارة الخصوصي.

ويركب عامر باص القرية، ويخفي سكينه الحبيبة في ثنايا ملابسه، ويصل إلى حي البقعة، وهناك يبدأ عمله البطولي صارخًا، مردِّدًا اللَّه أكبر... اللَّه أكبر.

□ شاهد عامر مجندة إسرائيلية بلباسها العسكري، فقال في نفسه: هذه مجندة فمن يذيق أهلنا ألوان الظلم، فستكون هذه المجرمة أول الصيد، طعنها طعنة فسقطت المجندة أرضًا، تتخبط بدمها، وتركها ليبحث عن صهيوني آخر، مشى عامر خطوات قليلة فرأى صهيونيًّا فانقض عليه كالصقر، وطعنه طعنة واحدة كانت كفيلة بقتله، فكر عامر قليلاً هنا في هذا الحي عدد قليل من اليهود، إذن سأتوجه إلى محطة الباصات، وهناك يكون العمل الذي يشفي الغليل، ويجعلني أنتقم لكل الشهداء وفعلاً توجه في سيره إلى محطة الباصات لكن شاهده ضابط صهيوني يحمل مسدسًا على جنبه، فصرخ اليهودي في عامر: عربيم وقف، وأطلق رصاصة أصابت ساق عامر فسقط على الأرض، وتقدم الضابط ليمسك بعامر الجريح، فما كان من عامر إلا أن طعن الضابط في

بطنه طعنة من يد قوية، لا تعرف الخوف، وصاح عامر: اللَّه أكبر. . .اللَّه أكبر، وسقط الضابط، والمسدس بيده أرضا، وبدأ الدم الحقود ينزف.

كل من سمع بالقصة تعجب من بطولة عامر وجرأته، جريح يسقط على الأرض ويقتل ضابطًا محترفًا للقتل، وللدفاع عن النفس، ويصرعه شاب جريح بسكينه، هذا عمل بطولي يذكرنا بأيام سلفنا الصالح الذين هزموا دولتي الروم والفرس بإيمانهم الصادق، وشجاعتهم النادرة.

❑ عامر البطل قتل المجندة جريز رئولاي، والمستوطن: شالوم شارلي، ثم أجهز على الضابط: أليت رام، تجمع عدد كبير من اليهود حينما سمعوا إطلاق الرصاص من قبل الضابط، وتعجبوا حينما رأوا الضابط مكومًا على الأرض، تحته شاب جريح لا يزيد عمره عن سبعة عشر عامًا.

❑ صرخ عامر باليهود: اللَّه أكبر. . .اللَّه أكبر، فهرب عدد منهم، لكن حضر مجموعة من الجنود، أمسكوا بعامر، ووضعوا القيود في يديه.

تناقلت وكلات الأنباء هذه العملية البطولية، وأذاعت أن عربيًّا قتل ثلاثة صهاينة في حي البقعة صباح هذا اليوم، هذا الخبر أفرح قلوب أهل فلسطين وكل من يحب أرض فلسطين.

وأحس أهل فلسطين بالسعادة تملأ قلوبهم، وشهدوا لعامر بأنه بطل يستحق التقدير والإعجاب، كما سبقه من الأبطال الذين سجلوا بدمائهم الطاهرة صفحات من البطولة، لأن الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم، ترخص دونه النفوس والأرواح.

❑ انتشرت أخبار عملية عامر في أرجاء فلسطين، فهب عدد من

الشباب الأبطال وقاموا بعمليات بطولية تشبه عملية عامر، مثل عملية الشهيد عمر الشواهنة ابن السلية الحارثية، وأيمن عبد ربه، وهيثم الجلمة، والشهيدة فايزة المفارجة، وعشرات من الأبطال الذين قاموا بعمليات بطولية حيث هاجموا الجنود اليهود بالسكاكين والبلطات، ليلقنوا اليهود أن دم مسلمي فلسطين لن يذهب هدرًا، وأن سفك الدم يؤدي إلى سفك الدم، وأن الدم الفلسطيني غالٍ، لا يقدر بثمن، لكنها الشهادة في سبيل اللَّه.

اعتقل الجنود عامر، وأخذوه إلى السجن، لكي يتم التحقيق معه، وهناك في السجن يقاوم عامر غطرسة المحققين، ويقول لهم ما قمت به هو انتقام للشهداء الذين قتلتموهم في ساحة الأقصى المبارك، ولست مدفوعًا من أحد من الناس، ولا أتبع أي تنظيم.

□ الحكم في ٣٠/ ١١/ ١٩٩٠م صدر الحكم على عامر بالسجن المؤبد ثلاث مرات، والسجن الفعلي لمدة عشرين سنة أخرى.

وقبل أن يصدر الحكم على عامر وفي ٣/ ١١/ ١٩٩٠م قام اليهود بنسف بيت والد عامر حيث تهاوت ثلاث طوابق من البناء الحديث أثر انفجار هزَّ القرية من شرقها إلى غربها، وسكن أهل عامر في خيمة قدمت لهم من الصليب الأحمر.

□ وكتب الدكتور الشاعر عبد الرحمن شقير:

بورك الخنجر يردي الغاصبا
بورك الطاعن أدَّى الواجبا
بورك الزِّند الذي يملكه
أسدُ الغابِ لمجدٍ طالبا

❑ وكتب الدكتور الشاعر محمود الشبلي قصيدة بعنوان «عامر يكتب بالخنجر» جاء فيها:

في حدِّ خنجره
يطيب الموت
أو تحلو الحياة
هو عامل
قرأ انتفاضته
على لوح الحجارة
في قراه
فتنبه القلب العصي
على الغزاة
وصحا النهار علي
فمشى وحيداً
كان يعرف كيف يبدأ
يدرك منتهاه
هو بعض من كتبوا
حروف الأبجدية في ثراه
سلمت يداه
سلمت يداه

❑ ويقول الشاعر البتيري:

يا عامر الساري بمهجته إلى غدنا
يا سيفنا المسلول في يدنا
يا أيها الماضي في يدنا

بوردة عشقة
سلمت يداك
سلمت يداك

◻ ويقول الشاعر الدكتور زهير الزميلي في قصيدته «رائد الشموخ»:

أنرتَ الدربَ للأبطالِ في وطني مدى الدَّهر
فكنت الرمز للإخلاص والإيمان والبرِّ
ولم تشجُبْ بأقوالٍ على الأوراق بالحبرِ
جعلت الرَّدَّ بالسكينِ كالأنوارِ في الفجرِ
وكان الصوت بالتكبيرِ رمز القرب للنصرِ

* بطل في إثر بطل:

شاء اللَّه أن يكون لسعود أبي سرحان هذا الفلسطيني العبيدي رمزين من رموز التضحية، يصنعان مجدًا يتضاءل أمامه كل مجد، إنه مجد الفداء والبطولة في سبيل الأرض المقدسة، إنها الأيدي المتوضئة المؤمنة، إنها أيدي عامر وفيصل ابنا سعود أبي سرحان العبيدي.

ففي يوم السبت ٢٦/٩/١٩٩٢م وبعد الظهيرة ارتقى إلى العلا معطرًا بأريج دمه ثرى فلسطين الشاب البطل فيصل سعود أبو سرحان، بعد إصابته بعيار ناري في صدره في مواجهة حامية شهدتها قرية العبيدية[١] .

(١) بطولات من أرض الإسراء ص(١٠١ ـ ١١٨).

البطل محمود أبو الهنود يواجه مئات اليهود بأسلحتهم وطائراتهم.. للَّه درُّ أُمٍّ أوحدت به[1]

محمود أبو الهنود «٣٤ عامًا» يقول عنه العدو الإسرائيلي إنه قائد كتائب عزالدين القسّام ـ الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس ـ وإنه مسئول عن مقتل ٢١ إسرائيليًّا في عدد من العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس في القدس وغيرها، وذلك في عامي ١٩٩٦/ ١٩٩٧م.

حاول العدو منذ خمس سنوات اعتقال أبو هنود، ولكن محاولاته باءت بالفشل، إلى أن نجح عن طريق عملائه في تحديد موقع تواجده ببلدة «عصيرة الشمالية» التابعة لنابلس، ووضع العدو خطة لاعتقال المجاهد بإشراف نائب وزير دفاعه.

وفي العاشرة من مساء السبت سبتمبر ٢٠٠٠ «جمادى الثانية» ١٤٢١هـ، أغلق العدو كافة مداخل البلدة، وقام بعملية إنزال لثلاثمائة جندي وضابط من القوات الخاصة التي تساندها خمس طائرات هليوكبتر جوًّا، وعشرات العربات والآليات المدرعة برًّا.

وفرح البطل التّواق للشهادة باللقاء، وفتح نيران سلاحه على العدو، ونجح بفضل اللَّه في قتل جندي وضابطين إسرائيليين وجرح عدد من الجنود والضباط.

وضيّقت قوات العدو الخناق على المجاهد البطل واتخذت مواقع

(١) أي: جاءت به وحيدًا لا نظير له.

استراتيجية على أسطح المنازل المحيطة بمنزله.. لكن المجاهد الذي يتمنى الشهادة ولا يخاف الموت، ظلّ يتعامل مع العدو لساعات، ونجح في فتح جدار إحدى غرف المنزل بقنبلة يدوية وخرج منها، واستطاع الفرار راكضًا وجراحه تنزف لمسافة تجاوزت الخمسة كيلو مترات إلى أن وصل إلى مدينة نابلس ليسلم نفسه لقوات الأمن الفلسطينية، لقد هبّ الشباب والنساء يقذفون العدو بالحجارة وعلت أصوات المآذن بالتكبير والتهليل، ودعوة أهالي البلدة للتصدى للعدو وفك الحصار.

وأدرك العدو بأن المجاهد البطل أفلت من يديه فأقدم على هدم بيت أسرته وبيت قريبه البطل نضال ياسين الذي جُرح أثناء المواجهة واعتقله العدو مع خمسة من شباب البلدة الذين قاوموه.

واستمرت الاشتباكات بين أهل البلدة وقوات العدو إلى السادسة من صباح اليوم التالي عندما اضطر العدو إلى الخروج يجر أذيال الخيبة والهزيمة ساحبًا قتلاه وجرحاه»[١].

* انتفاضة الأقصى وبواكير الحصاد: «بداية النهاية»:

بعد أن دنست أقدام شارون ساحة الأقصى بعد أن دخله في حراسة الجنود، في يوم الجمعة ٢٩ من سبتمبر عام ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ، وهبّ أسود الأقصى يدافعون عنه.. جرح (١١) ألف فلسطيني.. وقتل ثلاثمائة.. وشرّد ١٣٠ ألف عامل فلسطيني.

❑ قال الدكتور مصطفى الفقي مساعد وزير الخارجية المصري السابق «إن فكرة اندماج إسرائيل بالمنطقة وتعايشها السلمي مع العرب فكرة

---

(١) مجلة القدس العدد (٢١) جمادى الثانية ١٤٢١هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٠م.

وهميـة.. إن الأحداث الأخـيرة في الأراضي المحتلة هي بدايـة النهاية، وتفتح الطريق أمام تحوّلات جذرية في قضية الصراع العربي الصهيوني»[١].

ونحـمـد اللَّه أن هذه الانتـفـاضـة نشرت الـوعي في ربوع وطننا الإسلامي حتى بين الأطفال الصغـار، إن الحرب بيننا وبين إخوان القردة والخنازير، ومن يساندهم من قوى الكفر من الصلـيبيين وغيرهم.. هذه حرب دينيـة، ولو لم يكن من بواكير حـصاد الانتفـاضة إلا هذا لكفى، فكيف وهي كل يوم تثمر وتثمر؟!

* ونختم بشذا الرياحين:

شيخ المجاهدين في فلسطين الشيخ أحمد ياسين:

تحية إكبار إلى المجاهد الذي سمت به نفخة الروح عن قبضة الطين إلى المجاهد الفلسطيني أحمد ياسين:

إيه يا عـسـقـلان لان الحـديد ... وأخـو الحقِّ ثابتٌ لا يحـيـدُ

إيه يا عـسـقـلان أحـمـد قلبٌ ... صـابرٌ صـامـدٌ ورأي سـديدُ

سـمـعتْ صـوتَه القـيـودُ يُناجي ... ربه فـانثَنَت إليـه القـيـودُ

وبكـى السـجنُ حين أصـغَى إليـه ... وهو يتلو والواهِمـون رقـودُ

أيهـا الشـيخ مـا لعـينك تَهْـمِي ... ولماذا يطـولُ مـنك الشُّـرودُ

جـالسٌ أنت والطغـاةُ وقـوفٌ ... وحَـوالَيْك قـد أقِـيمَ الجنودُ

أنـا يا شـيـخ مـا رأيتُك إلاَّ ... في صـلاةٍ يطول فيـها السـجودُ

---

(١) مجلة القدس العدد (٢٤) ـ رمضان ١٤٢١هـ ص(١٥).

أنا يا شـــيخ مـــا رأيتُك إلاَّ ... داعـــيًـا من دعـائه يســـتـزيدُ

كـلهم خـــائـفـــون منك لماذا ... أيخـافُ القـعـيدُ جيشٌ عـتـيد

قـال لي الشـيخ وهو يُرسلُ نحـوي ... نظرةً وقْـعُـهـا عليَّ شـديدُ

أيهـــا الســـائل المُلِحُّ لأني ... لائذٌ بالـذي إليـــه نـعـــودُ

خـافـني المعـتـدي وإلا فـإني ... أيهـا السـائل المُلِحُّ قـعـيـدُ

يا بن ياسين أين رجـلاكَ مـهـلاً ... فـثـبـاتي على الجـهـاد أكـيـدُ

في دمي فَـورةُ الغـيـور وقلبي ... مُـشرِقٌ بالهُـدَى وعـزمي جـديدُ

ثقُلت هِمَّـتي على الجسم حـتى ... آده حـمـلُهـا فلم يَقْـوَ عُـودُ

شُل َّجـسـمي وإنما الجـسم طينٌ ... سـوف يسطو عليه في القبـر دودُ

أيُّ نفعٍ للجـسم والقـلبُ خـاوٍ ... أيُّ نـفعٍ للجـسـم وهـو بـليـدُ

كـم نـرى بيننا جـسـومًـا عظامًـا ... نفـَّذت مـا يـُرادُ لا مـا تـريـدُ

شللي لم يصب من الروح شيـئًـا ... وبروحـي أطـيـر حـيث أريـدُ

أنا يا سـائلي تجـاوزتُ نفـسي ... وتجـاوزتُ مـا تحـدُّ الحـدودُ

يخـرج الحَزْمُ من عـبـاءةِ صـمـتي ... وإليـهـا إذا أردتُ يـعـودُ

قلـت للجـسم حين أُقْعِـدَ مـهـلاً ... فـأنا لـن ينال عـزمي القُـعُـودُ

أنـا قـلبـي مُـعَـلَّق بإلـهـي ... فمـدى ما يـريـد قلبـي بعيـدُ

قـبـضـةُ الطينِ لن تكـبِّل رُوحي ... فالفضاءاتُ مسرحي والوجـودُ

حين أتـلو القـرآن يخـصب قلبي ... ويطيبُ التسبيـحُ والتحـمـيدُ

من عُـبُـوديَّتي لـربي انطلاقي ... أنا حُـرٌّ بهـا فـأين العـبـيـدُ

لست عـبـداً يا سـائلي لفـلانٍ ... وفلانٍ ممَّن سـجـايـاه سـودُ

أرفعُ الكف للسماء وحسبي ... أن كفِّي بخيبةٍ لا تعودُ

خالق الكون مالك الملك عوني ... فلينلني بكيده من يكيدُ

مقعد أيها الصديقُ ولكن ... من قعودي هذا يخاف اليهود

أوعدوني ولست أخشى وعيداً ... بشريًّا فعند ربِّي الوعيد

سجنوني مؤبداً وهو وهمٌ ... إنما في القيامة التأبيدُ

يا شيخنا تُضام وتُؤذى ... وعلى ما جرى تُقامُ الشُّهودُ

ثم تنسى ويحتفى بسلامٍ ... ساقنا نحوه العدو اللَّدودُ

يا بن ياسين كم يُمزقُ قلبي ... ذلُّ قومي ولهوهم والصدودُ

لو شكا كلب سائحٍ أجنبيٍّ ... لرأينا ما يصنع التهديدُ

واليتامى من أمتي والصَّبايا ... حظهن الإرهاب والتشريدُ

أين من أمَّتي عُميرٌ وسعدٌ ... والمثنى وخالدٌ وسعيدُ

أين من قادة الجيوش صلاح ... أين من ساسة البلاد الرشيدُ

أين قطز لما تهاوى تتارٌ ... عند أقدامه فعزَّت بنودُ

يا بن ياسين ما يزال بقلبي ... لهبٌ من جراحه ووقودُ

لم أزَل أذكر الظلامَ وئيداً ... آه مما جنى الظلامُ الوئيدُ

ليلة أظلمت وغامت فسلني ... كيف كانت بُروقها والرعودُ

كيف سالت مدامعُ المجدِ فيها ... وشكا فورة الدماء الوريدُ

كنت في السجن تشرب الليل سُهداً ... وعلى الذلِّ تنطوي «مدريدُ»

كنت في سجدة التهجد تدعو ... وصلاة المفاوضين الكنودُ

أين «رِبْعيُّنا» المفاوض عنَّا ... أين منا «المغيرةُ» الصنديدُ

أنذرا «رستمًا» فلا البحر بحرٌ عندما أنذرا ولا البيدُ بيدُ

أين منا يا شيخُ دُهمُ المطايا ساقها العزمُ والإباءُ يَقُودُ

قال لي الشيخُ لا تَخف فلدَينا أمَلٌ في إلهنا معقودُ

لا تَخَف يا بُنيَّ كم من قلوبٍ مُظلماتٍ صفاؤها مفقودُ

كلُّ من فاوَضَ العدوَّ سيبكي حالَهُ حين يَضحكُ التَّهويدُ

فَاوضَ المعتدي ضحاياه منَّا وعلى ما جرى رقيبٌ عَتِيدُ

ليلُهم راكدٌ وهم فيه عُميٌ ولنا فَجرُنا المُشعُّ الجديدُ

مَجدُهم صورةٌ لوهمٍ كبيرٍ ولنا مجدُنا العظيمُ التّليدُ

يا بن ياسينَ لا عَدِمناك شَهمًا عن حِمَى قُدسنا الشريفِ تَذودُ

عِش كريمًا فإن تَمُتْ فرجائي أن تقول الأمجادُ هذا الشهيدُ

قد يُسامُ التقيُّ في الأرض خَسفًا وعلى اللَّه نَصرُهُ الموعودُ(١)



(١) قصيدة «أحمد ياسين» من ديوان «من القدس إلى سراييفو» لعبد الرحمن العشماوي ص(٤٣) ـ طبع دار الصحوة.